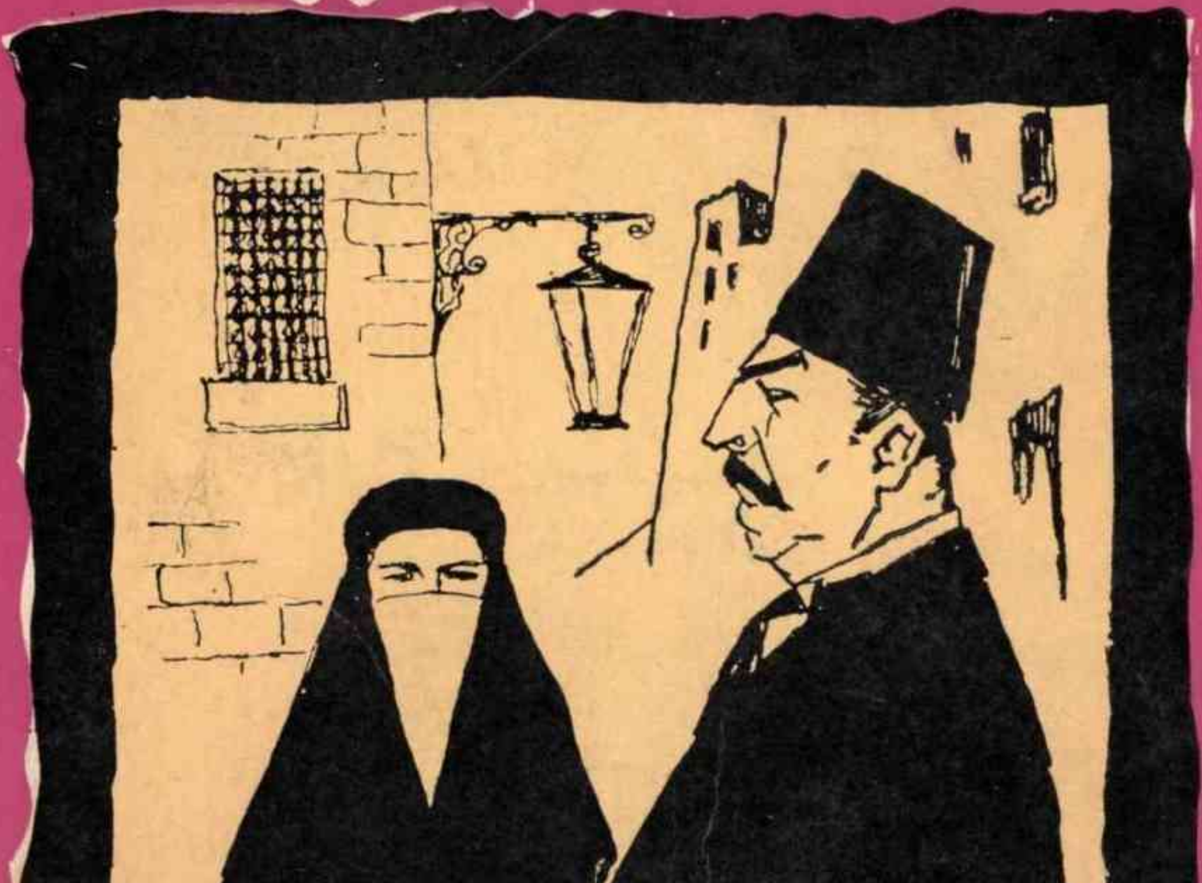
الكتاب الذهبي

مذكرات منسية



حافظ محمود

الكتاب
الذهبي

العدد
١٨٩

إبريل
١٩٧٢

حافظ محمود

مذكرات منسية

الغلاف للفنان جمال كامل

الاخراج الفنى مودى حكيم

ليست هذه
المذكرات
مذكراتى .. انما
هى مذكرات
خليط عجيب من
الناس الذين
عشت بينهم منذ
جيل مضى ..
أقدمها
إلى الجيل
الصاعد .. مع
تحيات البناء
للجيل الصاعد
على مدارج من
الأمس إلى
الغد ..

حافظ محمود

تقديم

هناك عبارة غير صحيحة يرددها بعض الذين يريدون ان يكونوا مؤرخين .. هذه العبارة غير الصحيحة تقول ان اقطاب الاجيال السابقة فى بلادنا قد قصروا فى كتابة « المذكرات » فافقدوا الدراسات التاريخية أول خامة من خامات هذه الدراسات .. وانا لست ادرى من هم المقصودون بهذا التقصير ؟ .. هل المقصود هم كل الذين تولوا المناصب العامة أو اشتركوا فى الخدمة العامة ؟ .. لو ان هذا قد حدث بالفعل لحار المشتغلون بتدوين التاريخ فيما يختارونه وفيما يصدقونه وفيما يكذبونه من هذه المذكرات .. اما اذا كان المقصودون هم الذين تولوا القيادات ، من أى نوع ، فى مراحل التحركات التاريخية ـ فمن من هؤلاء لم يكتب مذكراته ؟ وهل من

المحتم ان يكون ما يكتبه اولئك القادة يكتبونه تحت عنوان « مذكرات » ؟ .. اليست هناك عناوين اخرى بديلة لهذه الكلمة ؟

اذا نحن وضعنا هذه الأسئلة والاجابات عنها أمامنا فسوف نجد بين ايدينا ذخيرة مما كتبه اولئك القادة او مما كتبه عنهم أو بالنيابة عنهم ، معاصروهم من القادرين على الكتابة .

لقد كتب عرابى قصة الثورة العرابية بنفسه ، ومن وجهة نظره ، اليست هذه مذكرات ؟

ورسائل مصطفى كامل التى جمعها رجاله فى أكثر من كتاب - اليست من الناحية الفنية فى حكم المذكرات ؟

وبعد مصطفى كامل جاء محمد فريد فكتب مذكراته بعقلية رجل عاش أغلبية سنى جهاده فى الخارج .

وسعد زغلول - اليست له مذكرات مشهورة وان لم تكن مطبوعة ؟

وقبل هؤلاء جميعا بجيل او جيلين أو ثلاثة كتب الجبرتى كل احداث عصره فى كتب لها كل طبيعة المذكرات .

وبعد هؤلاء جميعا جاء الدكتور محمد حسين فأخرج مجلدين بعنوان « مذكرات فى السياسة » وهى المذكرات التى تغطى احداث ما بين ١٩١٩ وبين ١٩٥٢ .

وكتب عبد الرحمن الرافعى عن ثورة سنة ١٩١٩ وما تلاها وما سبقها وما تخللها وما ترتب عليها - اليست هذه الكتب من ناحية التصنيف تعتبر فى حكم المذكرات ؟

ان للرافعى كتابا آخر بعنوان « أربعة عشر عاما فى البرلمان » وهو كتاب مذكرات خالصة .

ثم جاء أنور السادات بعد سنة ١٩٥٢ فأخرج كتاب « قصة الثورة كاملة » وهو من كتب المذكرات الكاملة .

فماذا نريد بعد كل هذه « المذكرات » المختلفة فى نوعها ؟

اننا نقصر فى حق التاريخ بمفاهيمه العصرية اذا كان كل مانطلبه من « المذكرات » هو مذكرات الساسة وحدهم .. ان

المفاهيم العصرية للتاريخ تضع فى الاعتبار الاول تحركـات الشعوب وما يتخلل هذه التحركات من الامواج الفكرية التى يترجمها الكتاب فيما يكتبون ٠٠ وليس شك ان اقطاب الفكر الذين اخذنا عنهم وتتلمذنا عليهم قـد قامـوا بجهـود كثيرة لتسجيل صور المجتمعات التى عاشوا فيها بكل ما فى هـذه المجتمعات من تحركات ترجع الى المسيرة القومية سياسـية كانت او اجتماعية او فكرية ٠ والمثل الاول فى هذا الميدان هو الجبرتى ٠٠ لكن الجبرتى لم يكن وحده فى هذا الميدان ، وان كان قد تفرد بين المفكرين القدامى بأن كانت كتاباته نفسـها صورة من صور الصراع السياسى فى عصره الذى عرضـه لمؤامرات من الطغاة حتى قضى نحبه ٠

لكننا نجد بعد الجبرتى ٠٠ بعده بأكثر من جيل ٠٠ كتابا قد صوروا جيلهم بأساليب اخرى لاتعوضهم لما تعرض له الجبرتى ٠ ولعـل أول هـؤلاء الكتـاب هو (المويلحى) الذى صور حياة المجتمـع المصرى ادق تصـوير وبأسـلوب روائى ممتـع فى كتاب (حديث عيسى بن هشام) ٠٠ ان كتاب (حديث عيسى بن هشام) ليس اول الامر واخره الا كتاب مذكرات لرجـل عاش فى جيل ثم جاء ليصف الجيل الذى يليه بأسلوب قصصى تخرج منه بصورة صادقة عن الجيلين : جيل الراوى وجيـل مارواه ٠

وعلى ضوء هذا الفهم لفن كتابة (المذكرات) ننتقل الى ما بعد جيل المويلحى ـ فنجد ان رجال الصف الأول من المفكرين فى الجيل السابق علينا مباشرة قد كتبوا مذكراتهم بأساليب شتى ٠٠ ففى الوقت الذى نجد فيه كتـاب (مذكـرات فى السياسـة) للدكتور هيـكل نجـد كتاب (الأيام) للدكتور طـه حسين ٠٠ ثم نجـد أكثر من كتـاب للعقـاد مكـانه الطبيعى فى المكتبـة بين كتب المـذكرات ٠٠ ومن هذا الطراز ايضا ما كتبه سلامة موسى فى الكتاب الذى اختار له عنوان (تربية سلامة موسى) وكذلك كتاب توفيق الحكيم الذى اختار له عنوان (يوميات نائب فى الأرياف) ، وكتاب (ابراهيم الكاتب) للمازنى ٠

المذكرات عند العرب

هذه الكتب وما يماثلها هى فى الواقع كتب مذكرات يعمد فيها كل كاتب الى تصوير المجتمع من خلال نفسه ، أو يصور نفسه من خلال الصور الاجتماعيه التى يقدمها ٠٠ وكل من هذين الاسلوبين هو اسلوب (مذكرات) يمكن لدارسى التاريخ بمفاهيمه الحديثة ان يفيدوا منها الشيء الكثير ٠

فليس صحيحا ، اذن ، ان المكتبة العربية فقيرة فى كتب المذكرات الا اذا كان بعض المشتغلين بدراسة التاريخ يريدون من رجال الماضى ان يضعوا بين ايديهم كل الوثائق التى تتطلبها بحوثهم ٠٠ وفى هذه الحالة لايكون اولئك السادة اكثر من ناقلى وثائق ليس غير !

وليس صحيحا ايضا ان كتابة (المذكرات) كفكرة لم تنشأ الا مع الأساليب الغربية لفنون الكتابة ٠٠ الصحيح أن العرب القدامى قد عرفوا هذه الاساليب ، لكن بالطابع الذى يمثل عصورهم واهتمامات هذه العصور ٠٠ ولعل اقوى دليل على هذا يبرز امامنا فى كتاب (الاغانى) لمؤلفه ابى الفرج الاصفهانى ٠٠ فلو اننا درسنا كتاب (الاغانى) بالمفاهيم العصرية فاننا واجدون فيه كتاب (مذكرات) ارتفع باسلوب المذكرات الى المستوى الجماعى الذى يعطى القارىء فكرة تفصيلية شاملة عن حياة عصره وافكار هذا العصر ٠

بل اننى اذهب الى ابعد من هذا فاعتبر كتاب (ألف ليلة وليلة) كتاب مذكرات أيضا ٠٠ والا فبماذا نسمى هذه الروايات المتصلة ليلة بعد ليلة فى هذا الكتاب ؟ ٠٠ انها فى الواقع صورة من صور الترف فى القصور وصورة من صور الامل الضائع أو المحقق فى الاكواخ ٠٠ وان كان الدافع على اخراج هذا الكتاب فى العصور الوسطى دافعا سياسيا ـ فهو فى نهاية الأمر يعطينا مذكرات دقيقة عن الحياة اليومية فى مجتمع التناقضات الذى وضع فيه هذا الكتاب وما كان سائدا فى هذا المجتمع من الوان الحب والفروسية وحياة الاوهام التى كان يحياها هذا المجتمع ٠

وبين كتاب (الاغانى) بأمجاده التى جعلت منه المرجع الاول فى دراسة الحركة الأدبية عند العرب فى ازدهار حضارتهم وبين كتاب (الف ليلة وليلة) بكل ما اشتمل عليه من بث للاوهام ـ نجد الكثير من الكتب التى تحمل هذا الطابع اوذاك ولا تخرج فى مضمونها عن كونهـا الوانا من المذكرات التى تفيد الباحثين فى التاريخ ٠

واذا كان كتاب (الاغانى) فى غير حاجة الى شرح ما فيه من قيم فكرية وأدبية تخدم التاريخ ـ فان كتاب (الف ليلة وليلة) بكل مانحسبه فيه من خرافات قد اثارت اهتمام مؤرخى الأدب فى كل بلاد اوربا لدرجة ان عدد الابحـاث التى علقت عليه واستنبطت منه بمختلف اللغات قد بلغ حوالى ثلاثة آلاف بحث ٠ وبعض هذه الابحاث قد استحقت من مختلف جامعات اوربا درجات الماجستير والدكتوراه فى تاريخ الادب ٠

المذكرات الطبيعية

الاكثر من هذا كله ان كتابة المذكرات فى الجيل المتاخم لنا مباشرة قد تعددت وتنوعت حتى لقد ظهرت فى هـذا الجيـل مذكرات لفئات شعبية لم تخطر بعد على بال المعنيين بدراسـة المذكرات او كتابتها ٠

لقد قرأت فى صدر حياتى كتابا بعنوان (مذكرات عربجى) وهو كتاب مجهول المؤلف وان كان الكثيرون قد نسبوا هـذا الكتاب الى فكرى اباظة لظهور ما يشبه اسلوبه الاول فى هذا الكتاب ٠٠ وكانت هذه المذكرات (مذكرات عربجى) تصويرا صحيحا لشباب الجيل الماضى فى مباذلهم وسهراتهم وندواتهم وتحركاتهم الاجتماعية التى تعكس فى الواقع ما كانت عليه الحالة العامة التى نسميها الحالة السياسية فى البلاد ٠

وعلى غرار كتاب (مذكرات عربجى) ظهر كتاب (مذكرات حلاق) بقلم المرحوم الصحفى مصطفى القشاشى وقـد صـور الكاتب فى هذا الكتاب أدق تصوير ماكانت عليه الطبقة التى كانت تسمى (الطبقة الراقية) من ترف وما كان لهـا من

اهتمامات تجرى على السنة نساء هذه الطبقة من خلال احاديثهن فى الساعات الطويلة التى يقضينها فى صالونات التجميل التى كانت تسمى صالونات الحلاقة ٠

ولقد تعددت وتنوعت هذه الكتب الشعبية من كتب المذكرات التى يكتبها كتاب او صحفيون على السنة الغير كالحوذى والحلاق والعامل والفلاح ٠٠ بل لقد ظهر ذات مرة كتاب عجيب من هذا الطراز بعنوان (مذكرات مومس) ولم تكن لدى المؤلف الشجاعة بطبيعة الحال لان يضع اسمه على هذا الكتاب ، مع انه لو فعل لما قلل هذا من قيمته ، لانه كان يصور بدقة اثار الغزو الاجنبى لاخلاقيات المجتمع فى الماضى ٠

وتفنن البعض فى كتابة هذه الالوان من المذكرات فانتقلوا بها من الحديث بلسان الآدميين الى الحديث بألسنة غيرهم من الخلائق كالحيوانات والجمادات أيضا وان كان الكثير من هذه المذكرات ظل فصولا متفرقة على صفحات المجلات دون ان يحظى بأن يكون كتبا ٠

وليس شك أن هذه الألوان المختلفة من المذكرات لها فوائد تاريخية لأنها غالبا بمثابة المذكرات التفسيرية للاحداث التى شهدتها البلاد وانعكاسات هذه الاحداث على الناس فى حياتهم الخاصة ٠

اننى سأحاول فى حلقات هذا الكتاب ان أقدم ما استطيع تقديمه من هذه الالوان التى لها طابع المذكرات ٠٠ المذكرات المنسية التى كلما ذكرناها ذكرنا جانبا من جوانب بنائنا التاريخى بما فيه من صور بعضها شاذ ، لكن بقية هذه الجوانب لاتخلو من معانى الحب والجمال فى مجتمع لم يفقد مصريته ولا عروبته ولا انسانيته تحت أى ظرف من الظروف ٠

مذكرات

ضابط

أنا فخور .. لاننى أحد الخريجين فى أول دفعة فى الكلية الحربية ، لم يؤخذ رأى القصر الملكى ولا دار السفارة البريطانية فى التحاق أفرادها بالكلية . انها دفعة ما بعد معاهدة سنة ١٩٣٦ التى قنع بعدها الانجليز باحتلال قاعدة القناة فقط ، وتوارى بعدها « ياوران » القصر الملكى عن الظهور علنا فى شئون الكلية .

وهى فى نفس الوقت أول دفعة يشترط فى طلابها ان يكونوا حاصلين على قدر معين من مجموع درجات بعض المواد فى نسبة نجاحهم فى امتحان شهادة الثانوية العامة .. ان الفارق بين جيلى والاجيال السابقة عليه فارق كبير .. ان عمى اللواء (س) الذى كان له جانب كبير من الفضل فى التحاقى بالكلية الحربية ـ كان قد التحق بالمدرسة الحربية ، التى تحولت فيما بعد الى كلية ابان الحرب العالمية الاولى وهو يحمل الشهادة الابتدائية فقط ، بل لقد كان له زملاء لايحملون هذه الشهادة اكتفاء بانهم قد اتموا التعليم الابتدائى . كان هذا اغراء للشباب من السلطات لدخول سلك الضباط فى تلك الحرب . اليس من حقى ان أكون فخورا .

يا ابو الشريط الاحمر

وحين دخلت الكلية الحربية لاحظت ان زملاءنا الاقدم منا فيها من الذين قاربوا مرحلة التخرج كان لبعضهم نوع اخر من التفاخر .. كان تفاخرهم ينصب على الزى الرسمى لطلبة

الحربيه وبخاصة الشريط الاحمر على جانبى البنطلون ٠٠ لقد كانوا يرتدون هذا الزى ابتداء من ظهر يوم الخميس عند خروجهم من الكلية فى الاجازة الأسبوعية ثم لايخلعونه أبدا الا عند عودتهم الى الكلية مساء يوم الجمعة ٠٠ فكنت ترى هذا الزى فى ليلة الجمعة منتشرا فى دور السينما والملاهى وعلى ابواب هذه الدور ٠ بل وعلى أبواب دورهم فى الشوارع والحوارى المختلفة ، باعتباره فى ظنهم اكبر وسيلة للجاذبية، وكان عذرهم فى هذا الاسلوب نابعا من الاغنية القديمة التى كانت تتردد مساء كل خميس فى الكثير من دور الملاهى مبتدئة بقول المغنية « يابو الشريط الاحمر ياللى – سحرتنى ارحم ذلى » ٠

تغيرت هذه النظرة الى زى الكلية تدريجيا منذ دخلنا الكلية الحربية ، وأصبح زملائى ومن تبعهم من الافواج يميلون الى الحرص على الاحتفاظ للزى الرسمى بمكانه من الرسميات فقط ، فلم يعد الشريط الاحمر يبدو فى دور الملاهى ٠٠ لقد أصبح زملائى طلبة الحربية وخريجوها حريصين على ان يختلطوا بالناس فى اجازاتهم وهم يرتدون الزى المدنى المعتاد ٠

ومع ان هذه النزعة الجديدة كانت نتيجة فهم جديد للحياة، الا أن جانبا منها كان يرجع عند البعض منا الى نزعة جديدة ظهرت بين البنات بعد التحاقهن بالكليات الجامعية وتخرجهن منها – نزعة احترام الشباب الذى لايعتمد فى تكوين شخصيته على الشريط « الأحمر » ٠٠ لقد تغيرت الدنيا ٠ فبعد ان كان هذا الشريط يثير اهتمام البنات تحول هذا الاهتمام الى صفات صاحب هذا الشريط ٠

كذب البلاغات البريطانية

لقد كانت دفعتنا أول دفعة لا يستعرضها فى يوم تخرجها المفتش العام الانجليزى للجيش المصرى ٠ فقد الغيت هذه الوظيفة واصبحنا لا نرى فى حفلة التخرج الا وجوها مصرية ٠

لكن ما حيلتنا ؟ ٠٠ اننا ما كدنا نقوم بعض الوقت بمهامنا كضباط فى الجيش المصرى حتى قامت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ — ونفس المعاهدة التى اعفتنا فى الظروف العاديه من سلطان الانجليز — هى نفس المعاهدة التى ردت لهم هذا السلطان فى ظروف الحرب ٠ لقد كانت معاهدة تحالف ٠ ومن شأن هذا التحالف ان توضع مراكز القوات الحربيه فى حالة الحرب فى خدمة الحليف ٠٠ ولولا ان الشعب المصرى رفض الاشتراك فى الحرب لذهبنا كى نحارب مع الجيش البريطانى فى أى مكان ٠

على ان وجود قوات بريطانية فى اراضينا قد جعل هذه الاراضى عرضة لغارات المحور ، محور برلين — روما الذى كان يحارب الانجليز وحلفاءهم فى كل مكان ٠ فكان علينا ، على الاقل ، ان نحمى هذه الارض من الغارات ٠٠ وهكذا تركت لنا قيادة الجيش البريطانى مهمة العمليات العسكرية المضادة للغارات الجوية ٠

والواقع ان هذه القيادة لم تترك لنا هذه المهمة عفوا ، بل عن تجربة ٠٠ جربت القيادة البريطانية الجندى المصرى وجربت الجندى البريطانى فى اطلاق المدافع المضادة للطائرات ، فكانت نتيجة التجربة ان الجندى البريطانى يصيب الهدف بنسبة عشرة فى المائة بينما الجندى المصرى يصيب الهدف بنسبة تسعين فى المائة ٠ بل لقد كان هناك شىء أهم من هذه النسبة فى نظر القيادة البريطانية ، وهو ان المدافع المضادة للطائرات ذاتها كانت أهدافا عسكرية للمغيرين ٠ وقد تبين لهذه القيادة أن عدم اصابة الجندى البريطانى للهدف يعنى انه هو نفسه يصبح هدفا مصابا ٠

لكن الغريب ٠٠ الغريب الذى لم يصححه التاريخ حتى الان ٠٠ ان الجندى المصرى كان يسقط الطائرات المغيرة على الاهداف العسكرية التى تتمركز فيها مصالح القوات البريطانية — ومع

هذا كانت القيادة البريطانية ـ تذكر فى بلاغاتها ان قواتها قد اسقطت كذا وكذا من الطائرات المغيرة ، كأن قواتها هى التى كانت تسقط هذه الطائرات ٠٠ !

لقد كان هذا التصرف جـــزءا من التصرفات التى احنقت الضباط الشبان الاحرار ٠٠ لكننا كنا الى هذه الاثناء ضباطا صغارا ننتظر الفرصة التى نستطيع فيها أن نكون قوة محركة ٠

مين زيك عندى يا خضرة

وبينما كنا ننتظر هذه الفرصة لانزال ـ اذا بنا نفاجأ فى شهر مايوسنة ١٩٤٨ بأننا مدعوون لمحاربة التشكيلات العسكرية الاسرائيلية التى اعدتها السلطات البريطانية لتحل محلها فى ارض فلسطين ، فأنستنا هذه المفاجأة الشىء الكثير الا واجب المعركة ٠

لقد كان يوم اشتراك فرقتى فى معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ يوما مشهودا ٠٠ ان فرقتى لم تشترك فى هذه المعركة الا بعد ان كانت طلائع متقدمة من جيشنا قد اجتاحت الحدود واشتبكت فى المعارك الاولية مع العدو، وكانت انباء هذه الاشتباكات تصل الى القاهرة فتلهبها حماسا ٠٠ وبين امواج هذا الحماس تحركت فرقتنا من العباسية لتستقل القطـار الذى كـان يصـل بين القاهرة وبين رفح ٠

وحينما وصلنا الى ميدان المحطة وجدنا طوابيرنا بين محيط متلاطم من مظاهرات الشعب ٠٠ وعلى رصـيف المحطـة وقف القادة وكبار المسئولين فى وداعنا ، لكن الشعب لم تعجبه هذه الرسـميات ، فتقدمت منـا الجمـوع تعانقنـا فـردا فـردا ، وكان مشهدا لاانسـاه حين كنت أرى هـذا العنـاق يتم بين أفـراد من الشـعب ليسـت بينهـم من الصـلات الا صـلة الوطنية الدافقة ٠

ربما كانت هذه اول مرة تتردد فيها الهتافات من الشعب للجيش منذ مظاهرة الجيش فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بميدان عابدين ٠٠ وكان اروع هذه الهتافات هتافا من سيدة ريفية جاءت لتودع ابنها الذاهب الى ميدان القتال ٠٠ كان هتافها بالزغاريد ٠٠ فأين هذه الزغاريد من الولولة التى كانت الريفيات يودعن بها أبناءهن الذاهبين ، لا الى ميدان القتال ٠ بل الى مجرد التجنيد فى اوقات السلام ؟!

ان الصورة تختلف اختلافا جذريا ٠ وقد أكد هذا الاختلاف فى وجدانى ان القطار حين بدأ يتحرك بين التصفيق والهتاف ورفرفة الاعلام كان جنودنا فى عربات القطار يرددون أغنية (مين زيك عندى يا خضرة) وهى الاغنية التى الفها اللواء عبد المنصف محمود ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ فى وصف فتاة ريفية تحث شباب القرية على قتال الاعداء ٠

الله أكبر فى الميدان

وصلنا الى الحدود ٠٠ كان كل شىء قد تغير ٠ ٠ لبسنا كلنا ملابس الميدان وزالت الفوارق بين أكبر ضابط واصغر جندى ٠ انه شىء جديد قد كسبناه من الحرب ٠٠ كان الضابط قبل مايو سنة ١٩٤٨ نصف اله بالنسبة للجندى ٠٠ فاصبح الجندى نصف شقيق بالنسبة لاى ضابط ٠

لقد رأينا نحن الضباط من أولئك الجنود مالا عين رأت ولا أذن سمعت من قبل ٠٠ انها كانت أول مرة يخوضون فيها المعارك الحقيقية ٠٠ لكنهم كانوا كمن خاض عشرات المواقع من قبل ٠٠ لم يكن فى ايدينا مثل الذى فى يد العدو من السلاح ٠٠ ومع هذا فقد رأيت جنديا يثب ببندقيته فقط على دورية من دوريات العدو يصليها نارا ٠٠ فرغت منه

الذخيرة شهر يد بندقيته وأخذ يضرب بها يمينا وشمالا حتى سقط شهيدا وهو يهتف : الله أكبر ٠

وعندما التقيت بعد اول معركة خضناها بزملائى الضباط رأيت فى يد احدهم شيئا يشبه المصفاة ثم تبين لى انها لم تكن مصفاة ، انما كانت (الكاب) التى يضعها فوق رأسه وقد اخترقتها عشرات الرصاصات دون أن يصاب زميلى الا بسجحات بسيطة فى اثارها ، لكنها كانت عظيمة فى معناها ٠٠ لقد كان معناها ان الشجعان هم اقرب الناس الى النجاة ٠

وزحفنا رغم ضعف اسلحتنا ، وكنا أحيانا نزحف بالفعل على بطوننا حتى أصبحنا على بعد ثلاثين ميلا من تل أبيب ٠٠ ثم فوجئنا بالهدنة ٠٠ ويا لها مع هدنة ٠٠ لقد كانت فترة استعداد للعدو ٠

اما فرقتى فقد عادت الى القاهرة وقد استقبلت فى شوارعها بأكاليل الغار ٠٠ ومع هذا فقد كانت هذه الاكاليل غصة فى قلوبنا ٠٠ كنا لا نريد ان نرجع ، لكنها (الاوامر العليا) ٠٠ الاوامر العليا التى عكست الصورة الى اسفل ٠٠ !!

الى فجر جديد

وفى القاهرة دخلت المستشفى بعد ان رفضت دخول مستشفى الميدان ٠٠ وفى المستشفى بالقاهرة احسست ان بعض أعضائى لا يتحرك ٠٠ اذن كيف كانت تتحرك كل اعضائى ونحن فى الميدان ؟!

انها الروح المعنوية التى كانت تحركنا هناك ٠ ولم نجد هنا البديل عنها ٠٠ وأصبحت ضابطا نصف متقاعد فى عز الشباب ! ٠٠

وهكذا كانت تمضى بى الايام ثقيلة الى أن سمعت غداة يوم حريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ أصوات المتظاهرين تهتف

هتافات مختلفة ، لكن الهتاف الذى استقر فى سمعى وفى قلبى هو نداء الجماهير ، لأول مرة «الجيش جيش الشعب» ، وبحركة سريعة لبست ثوبى العسكرى . ونزلت الى الشارع .. الى المتظاهرين اشاركهم هذا النداء ، وانا لا أدرى ان صـــوتى وأصواتهم كانت اذانا لفجر جديد .

مذكرات

مجـــــدة

كانت الليلة ليلة النصف من شهر مايو سنة ١٩٤٨ وانا وخطيبى الملازم حسن نشهد فيلما مثيرا بدار سينما ستديو مصر بشارع عماد الدين ٠٠ وكان الشيء الوحيد الذى يخفف من الانفعالات المثيرة فى هذا الفيلم هو ظهور السيدة تايتينجيل أشهر واول سيدة نظمت حركة التطوع النسائى فى الحرب العالمية الاولى لتخفيف ويلات الحرب عن الجنود المصابين ٠٠ كانت هذه السيدة تبدو على الشاشة البيضاء وكأنها ملاك بين شراذم من الشياطين ٠ وفى فترة استراحة اضطرارية بسبب انقطاع الفيلم لبضع دقائق ٠٠ أخذ حسن يحدثنى طويلا عن هذه السيدة التى دخلت التاريخ بمواقفها الرحيمة التى بلغت حد الجرأة ٠٠ وظل يتحدث عنها حتى ظهرت على الغيرة ، فسألنى : هل غرت من جمالها ؟ ٠ قلت : لا ٠٠ أنا اجمل ، لكننى غرت من بطولتها وهى بطولة لم يكن لنا سبيل اليها ٠

وانتهى العرض وهممنا بالانصراف لكننا ماكدنا نتخطى عتبة دار السينما حتى اقبل احد الجنود على خطيبى فحياه التحية العسكرية ، ثم دعاه الى سيارة صغيرة من سيارات الجيش كانت تنتظر بعيدا وقبل ان يصل حسن اليها كان ضابط اكبر منه قد هبط منها وانتحى به جانبا لدقيقة واحدة عاد بعدها حسن الى ليقول لى انه ذاهب فورا مع زملائه الى الثكنة استعدادا للحاق بالفرقة الثانية المسافرة الى أرض المعركة ٠٠ أرض فلسطين ٠

وجاء لى الجندى بسيارة من سيارات الاجرة لاستقلها الى البيت فى حراسته وعلى طول الطريق لم يفتح هذا الجندى فمه بكلمة ٠٠ لعله كان مهموما مثلى بهذا الموقف ٠٠ الذى لم يخفف حدته عنى الا ان (حسن) قد جاء فى الصباح ليودعنى وهو عجل ٠

وصرحت لخطيبى برغبتى فى التطوع لخدمة الجنود فى الميدان فابتسم حسن من هذه الرغبة ، فلم تكن هنـــاك الى بدايات سنة ١٩٤٨ وسيلة امام أية سيدة او فتاة للذهاب الى ميدان القتال ولاقريبا منه ٠٠ لقد كانت هناك قطارات الاسعاف التى تحمل المصابين الى أقرب المستشفيات فى الأماكن الامنة ، وكان من الاسرار التى عرفتها فيما بعد انهم يطلقون صفارات الانذار حتى تنطفىء الانوار وتقف حركة المرور حتى يســـير قطار الجرحى بعيدا عن الفضول ٠٠ !

بعد ان صرت مجندة

منــذ ذلك اليوم اخذت كافة الحفلات طابع المعركة الحربيـة وهو الطابع الذى كان يشدنى اليه حنينى الى حسن ٠٠ فما ان سمعت بان النادى الاهلى ستقام به حفلة لها مثل هذا الطابــع حتى حرصت على حضورها ٠٠ وهناك كانت المفاجأة ٠٠ !

لقد دخلت الاميرة السابقة فايزة الى مقر الاحتفـــال وهى تلبس رداء ضابط برتبة رائد ٠٠ وظللت اتحرى حتى علمت ان هناك بابا قد فتح لتطوع السيدات والانســـات المتعلمات ليكن مجندات خلف صفوف القوات المحاربة ، وان كل متطوعة من هؤلاء ستحمل رتبة عسكرية ابتداء من رتبة ملازم الى رتبة رائد فقط ٠٠ولهذا اقتصر التطوع بين بعض الفئات دون الاعلان عنه خوفا من شدة الاقبال عليه ٠

ومنذ الصباح الباكر كنت اطرق ابواب اقاربى من كبـــار الضباط لالحاقى بفرقة المجندات ٠٠ وقـــد ادهشـــنى ان احدا منهم لم يعارض ٠٠ فسألت اقربهم سنا الى التقاعد : لماذا لم تعارضوا كلكم فى ان اكون مجندة ٠٠ فقال ببساطة : لان مجنداتنا سيكن شيئا اخر غير المجندات عند الاخـــرين ٠٠ فالمجندة عند الاخرين تعنى نصـــــف مرفهة عن الجنود غير المصابين ٠٠ أما المجندة فى الخطة التى وضعناها لانفســـنا فهى عبارة عن متطوعة للتمريض وراء خطوط النار مباشرة ،

أى فى ظرف لايمكن ان ينفتح فيه باب العبث بين المجندين والمجندات .

وبعد أيام كنت واحدة من أولئك المجندات .

لقد طرت من الفرح بمجرد قبولى ، ولست اكتم ان ارتداء الزى العسكرى والنجمتين على كتفى كان مبعثا من بواعث هذا الفرح .. لكن النفس كانت تضمر فرحا آخر من احتمال لقائى على وجه السرعة بخطيبى العزيز .

ومع هذا فلست انكر ان سيرى فى الطريق بالزى العسكرى كان يسبب لى بعض الارتباك ، فالعيون كلها كانت مصوبة الى وكان يزداد ارتباكى حين امر باى جندى فى الطريق فيرفع يده بالتحية العسكرية .

سهرة مع « مولانا »

وبينما كانت كثرة من المجندات يسعين الى البقاء فى القاهرة كنت أنا فى مقدمة الكثرة الاخرى التى تطلب الانتقال الى مستشفيات الميدان .. لقد كنت اطمع ان اكون قريبة من حسن خاصة بعد ان اخذت تتناقص اخباره عنى .. وبينما كنت استعد للسفر أعلنت الهدنة الأولى فى معركة سنة ١٩٤٨ — ومع ان الهدنة يمكن ان تسر أى ناس فى الدنيا الا ان هذه الهدنة قد احزنتنى .. وكنت افسر هذا الحزن علنا بانها هدنة ليست فى صالحنا بعد ان كانت قواتنا المسلحة قد هزمت قوات العدو أما التفسير الذى كنت اضمره فى سرى فهو ان هذه الهدنة قد أخرت فرصة لقائى بحسن .

وذات يوم ذهبنا لحضور حفلة بقصر محمد على بشبرا .. كانت حفلة ملكية اقيمت باسم الخير لجمع التبرعات ، وكان حضور هذه الحفلة قاصرا على الكبراء من الامراء والاميرات ومن اليهم من فئات (الطبقة) ونظرا لعلاقة المجندات بالاميرة السابقة فايزة فقد دعينا جميعا للاشتراك فى هذه الحفلة جنبا الى جنب مع (علية القوم) .

كانت هذه أول مرة أرى فيها اولئك (العلية) على الطبيعة ، كانوا جميعا رجالا ونساء فى ملابس السهرة ، وكنا نحن المجندات قد استفسرنا ما اذا كان حتما علينا ان نرتدى فساتين السهرة فقيل لنا بل على العكس فان (مولانا) حريص على حضوركن بالملابس العسكرية .

كانت الحفلة مقامة حول الفسقية الكبيرة جدا بحديقة القصر ، وقد بقيت حولها الارائك والمساند كما كانت على عصر محمد على .. وان كنت قد لاحظت ان يد التجديد والتجميل قد امتدت اليها ، لكن دون تغيير فى طبيعتها .

وكانت كل فئة من فئات المدعوين والمدعوات لها مكان مخصص لها ، ولها استعراضات خاصة بها ايضا .. وكان اعجب ما فى هذه الاستعراضات استعراض (التبلوهات الحية) اى التبلوهات التى تقوم بعض الفتيات الجميلات بتمثيلها والوقوف فيها كأنهن صور رسمتها ريشة فنان !

وجاء (مولانا) ووقف أمام هذه التبلوهات طويلا وبنات التبلوهات لايتحركن ادنى حركة .. يكلمهن فلا يجبن ..

ولما لم يعجبه هذا الموقف ـ مد يده فانتزع واحدة منهن فتساقطت عليها الاخريات وهو يقهقه قهقته العالية !

ويسأل (مولانا) اين المجندات .. فدلوه على مكاننا .. وهنا وقف وقفة تظاهر فيها بالجد وهو يلقى علينا النصائح الملكية السامية وفجأة بدا عليه انه لايطيق هذا الموقف ، فاذا به يمسك باقرب مجندتين اليه ويلقى بهما فى ماء الفسقية ليعاود قهقهاته العالية مما جعل الباقيات يهربن .

حلمى يحققه خطيبى

بت ليلتين افكر فى هذا التلازم العجيب بين مقتضيات الجد وبين مقتضيات العبث لكننى فى الليلة الثالثة نسيت هذا كله فقد كان العدو قد خرق الهدنة ، وعادت تحركاتنا العسكرية من جديد وقد صحبت بعض هذه التحركات الى غزة .

وفى غزة قابلت قائد العمليـات الذى قرأ فى ورقة امامه اسمى ورغبتى فى ان اكون وراء الخطوط الامامية ٠٠ ورفـع رأسه عن الورقة لينظر الى مندهشا على تفردى بهذا الاختيار ، ثم اعاد النظر فى الورقة ، ثم رفع رأسه ثانية وهو يبتسم قائلا : فهمت يا انسة ٠٠ انت تريدين ان تلحقى بحسن ٠

قلت : نعم ٠٠٠

قال : ان (حسن) قد شفى من جرحـه تمامـا وسـوف نحتفل اليوم بتقليده نجمة الشرف على بطولته ٠

كانت هذه أول مرة اسمع فيها ان خطيبى كان جريحا ٠٠ ولقد كان من الممكن بعد لقائى به ان استأذن لانزل معه الى القاهرة فى اجازته بعد الشفاء لكنه هو الذى اسـتأذن لكى يبقى نصف الوقت وبنصف العمل فى غزة حتى تتاح لى فرصة العمل اسبوعين لاحقق حلمى فى ان اكون ، ولو يوما واحدا مثل السيدة نايتنجيل التى اخترعوا من اجلها اسم (ملائكة الرحمة) فى دنيا الحروب ٠

مذکرات

مدرسه

اعتقد ان تاريخ تعليم البنات فى مصر لم ولن يشهد مربية فى عنف وعنفوان ابلة نبوية موسى ·· لقد سمعت انها كانت أول فتاة مصرية حصلت على شهادة البكالوريا ، وانهـا حين عملت مدرسة كانت فى مستوى أعلى من مستوى مدرسـات سنة ١٩١٠ وما بعدها الى ما قبل سنة ١٩٢٠ حيث كانت المدرسات ، أو المعلمات ، من خريجات التعليم المتوســـط اللواتى يزاولن التعليم فى مرحلته الابتدائية ، بينمـا كانت غالبية مدرسات التعليم الثانوى من الاجنبيات ·

فكانت نبوية موسى هى أول « معلمة » تقتحـم صـفوف الاجانب بين هيئات التـدريس فى معاهـد البنـات · وأول سيدة مصرية تتولى نظارة المدرسة السنية بالذات التى كانت وزارة المعارف ـ وزارة التربية والتعليم ـ تحـرص عـلى أن تكون ناظرتها من الاجنبيات وبالذات من الانجليزيات ·

وعفوا اذا كنت قـد قدمت ابلـة نبـوية موسى بوصـفها « سيدة » ·· انها فى الواقع كانت انسة الى اخر حياتهـــا الطويلة ·· ولقد ظلت طول حياتها آنسة لانهـا أول امـرأة صدقت مرآتها واعترفت بينها وبين نفسها وبينها وبين الناس بأن الجمــال لـم يعـرف أية جزئيـة فى وجههــا ·· ومن النــوادر الطـريفة عـلى هـذا الاعتـراف انهـا كانت ذات مرة تسـير فى طريق خـال من الزحـام تمامـا ـ كانت تسدل على وجهها القناع الاسود الذى كان معروفا عند كل السيدات قبل عشرات السنين ـ وتصادف ان مر بهـــا شاب مغازل ، فما أن رآهـا وحدهـا ، وقلمـا كانت تسـير

السيدات وحدهن اذ ذاك - حتى تشجع على مغازلتها بشتى الالفاظ الشاعرية الرقيقة .. وظلت أبلة نبوية تواصل سيرها بخطى ثابتة وتستمع الى غزل هذا الشاب بثبات حتى وصل فى عبارات الغزل الى قمتها وهنا التفتت اليه وهى ترفع الحجاب عن وجهها قائلة له فى تبكيت سخرية وشجاعة: ارجو ان اكون قد عجبتك ؟ .. وارتبك الشاب بماذا يجيب ، لكنها بكل شجاعة كانت قد أخذت زمام المبادرة فى الحديث ، واخذت تلقى عليه درسا نافعا فى اداب الطريق .

بهذه القدرة النفسية وجهت نبوية موسى كل انفعالات حرمانها من الجمال الى انفعالات كريمة سخية فى خدمة المجتمع عن طريق التربية والتعليم . وكانت تحترم رسالة التربية والتعليم الى درجة انها قد اختلفت فى أوائل الثلاثينيات مع وزارة المعارف على بعض الاساليب المدرسية ، فلما استعان كبار الوزارة بالوزير لحملها على الاخذ بوجهة نظرهم كتبت الى الوزير نفسه خطابا تربويا هاما كان له صداه البعيد ، وارفقت خطابها بالاستقالة من وظيفتها كناظرة لمدرسة السنية الثانوية ، وكانت هذه أعلى وظيفة تعليمية وصلت اليها المرأة اذ ذاك فى مصر .. وبينما كانت الوزارة تتداول فى موقف نبوية موسى .. كانت ابلة نبوية قد انتهت فعلا من اعداد العدة لفتح مدرستها الخاصة التى صارت فيما بعد عدة مدارس فى القاهرة والاسكندرية واشتهرت باسم مدارس نبوية موسى ، واشتهرت أيضا بأنها المدارس التى تحصل على الترتيب الاول فى امتحانات الشهادات العامة للبنات حتى اصبح الالتحاق بهذه المدارس للتلميذات والمعلمات فخرا لهن .. وقد كنت انا واحدة من اللواتى أحرزن هذا الفخر تلميذة ومعلمة تحت اشراف أبلة نبوية .

قسوة نبوية ورحمتها

كانت أبلة نبوية تبدو أقسى ماتكون لاكاقسى ما تكون النساء، بل كأقسى مايكون الرجال ، الى درجة ان موظفى مدرستها من الرجال كانوا يحسبون لقسوتها ألف حساب ، فكانت حسابات

عملهم بالمدرسه لاتخطىء مطلقا ٠٠ لكن هذه القســوة كانت تنطوى على قلب كبير لام كبيرة حرمت من البنين والبنات لكنها جعلت من الاف التلميذات بنات لها ٠٠ وكانت فى امومتهــا لتلميذاتها مربية اكثر منها معلمة ٠

لقد كانت أبلة نبوية تعلم بناتها اصول التربية الوطنيـة على الطبيعة ٠ فما أن يجد موقف قومى فى البلاد حتى تدعــو اقطاب هذا الموقف الى ندوة او حفلة فى مدرســـــتها لمخاطبة الطالبات فى هذا الموقف ٠٠ كانت تختــار من يتكلمـون ممن لايتخذون من أحاديثهم مجرد دعــاية ٠٠ وكانت أكثر من هذا تحض الطالبات أحيانا ــ وهى أول وآخر ناظرة تعمل هذا العمل ـ على الاشتراك فى المظاهرات ان كانت هناك مناسبة قومية حقيقية اما ان كانت مظاهرات حزبية أو مظاهرات طلابيــــة لا أساس لها ، فكانت توقع اشد العقوبات على المشتركات فيها ٠

وكانت أبلة نبوية اجرأ سيدات التعليم فى مصر ، بل ربما فى الدنيا ، فذات مرة سمعت ان طالبة ما قد غرر بها شاب باسم الرغبة فى الزواج ٠٠ ومع ان هذه القضية قـد تكـون قضية عائلية بحتة الا ان ابلة نبوية صممت على ان تحققهـا بنفســها وانكرت الطالبة ان بهــا أى اثر من اثار التغرير ، فاذا بالناظرة الجبارة تنادى طبيبة المدرسة وتطلب اليها الكشف على الطالبة ٠٠ فلما بكت الفتاة اخذتها بين احضانها قائلة لها ٠٠ اتنكرين على امك يا ابنتى ٠٠ وما زالت تسعى حتى تم زواج هذه الفتاة على يد السيدة المربيــــة التى لم تتزوج قط ٠٠ لكنها بعد كل هذه الرحمة خيرت الفتاة بين أن تنقطع عن الدراسة وبين ان تختار لها مدرسة اخرى ٠

حــدث هذا من أبلة نبوية فى مدرســـة كانت تعتمــد فى مصروفاتها على الاجور التى تدفعها الطالبات ٠

وليس شك ان هذا الاجراء من ابلة الناظرة كان درســـا للمعلمات أكثر مما كان درسا للطالبات ٠ لسبب بسيط هو

ان ثلثى المعلمات كن انسات فى سن الزواج ·· واذا كانت صاحبة المدرسة قد ضحت بالطالبة التى تدفع فما بالغـــا بالمدرسة التى تتقاضى أجرا ·

والواقع ان اشتغالنا بالتدريس فى مدارس نبوية موسى فى حياتها كان من المؤهلات الادبية لنا عند الزواج · فلـــم يكن العريس بحاجة للاستفسار عن خلق من يخطبهـــا من معلمات هذه المدرسة ، يكفى انها كانت تعمل مع نبوية موسى·

نظراتهم الى المعلمات

ما هذا ؟ ·· هل اكتب كل المذكرات عن ابلة نبوية ؟! ·· ان لى ذكريات كثيرة وكبيرة ·· اكبر من سنى واكثر من سنى عملى بالتدريس ، فأنا من خريجات كلية الاداب دفعـــة سنة ١٩٣٦ ·· واللواتى اشتغلن بالتدريس من خريجات هذه الدفعة وما قبلها او ما بعدها مباشرة كن يهتفن دائما لاستاذ الجيل أحمد لطفى السيد ·

ذلك ان لطفى السيد من حيث لايدرى قد غير المقاييس الاجتماعية للمعلمات ·· كانت المعلمة قبل التحاق البنت المصرية بالجامعة بقرار - لطفى السيد - كانت تعتبر من الفئات الصغيرة المفترى عليها ·· كانت المعلمة والممرضـــة والولدة هى الوظائف التى ينظر اليها مجتمع الربع الاول من القرن العشرين نظرته الى أية امرأة تريد ان تأكل بعرق جبينها دون ان يكون لها مستوى اجتماعى ·· بل كان بعض الناس يتقولون عن هذا المستوى تقولات ظالمة ، حيث كان توظف البنت لايزال اما دليل الحاجة الشديدة واما دليـــل التفكك الشديد ·· وقد عانيت انا من هذه التقولات شيئا كثيرا حيث كنت اشتغل بالتدريس قبل حصولى على ليسانس الاداب ·· اما بعد ان اخذ يتزايد عدد المدرسات من خريجات الجامعة فقد تغير الوضع تغيرا لابد ان يذكر بالخير لاحمد لطفى السيد الذى ساعد البنت المصرية على دخول الجامعة ·

قبل ان احصل على الليسانس كنت اسـمعهم بأذنى فى الطريق الى مسكننا بحى السيدة زينب وهم يقولون « البنت المدرسة دى فاهمة انها حاجـة ‥ ايه يعنى معلمـة بثمانية جنيهات ؟ ‥ من اين تأتى بهذه الفساتين ‥ طبعا تعود الى البيت بعد المغرب وتدعى انها كانت فى المدرسة ‥ كـلام فارغ » .

اما بعد الليسانس فقد تغيرت هذه النغمة « يا سلام على البنت المكافحة يا ابنى دى زى الراجل ‥ اخذت الشهادة الكبيرة زى الاستاذ محمد جارنا . وكان ترتيبهـا فوق ترتيبه . يابخت اللى حيتجوزها » .

وتزوجت فعلا ‥ تزوجت الشاب الذى كان قبل حصولى على الليسانس مترددا فى الزواج منى ‥ كان يرى فى نفسه ، وهو خريج « الفنون التطبيقية » انه من طبقة اعلى منى . ثم أحس فجأة بعد الليسانس اننى أعلى منه ‥ وظل يتساءل : يا ترى هل ستقبل أم سترفض الزواج منى ‥ لكننى لـم أرفض ‥ لاننى تعلمت فيما تعلمته ان الزواج القائم عـلى تسعيرة الشهادات لايكون زواجا سعيدا فى كل الاحوال .

مذكرات

طالب

انا طالب محظوظ ٠٠ فقد التحقت بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ مع الدفعة التى سجلت فى تاريخ الجامعة زحف البنات على الكليات الجامعية ، وهى دفعة ١٩٣٠ ٠٠ لكن هذا الزحف البناتى كان زحفا رقيقا لايتفق مع الضجة التى قامت من قبل حول قبول أو عدم قبول الطالبات بالجامعة ٠٠ مجرد طالبة واحدة قد التحقت بكلية الطب ، وعدد من الطالبات يمكن عدهن بأصابع اليد الواحدة التحقن بكلية الاداب ، وطالبة قد التحقت بكلية الحقوق ٠٠ وحول هذه الطالبة كانت الضجة كلها ٠٠ فقد كان نقاد التعليم الجامعى للبنات لايرون مانعا من ان تكون المرأة اديبة أو طبيبة ٠٠ اما ان تكون من اسرة القضاء فقد كانت هذه هى الكارثة فى نظرهم ، وقد وضعت اللمسات الاولى فى هذه « الكارثة » من وجهة نظر المعارضين الطالبة نعيمة الايوبى ٠

وكنا نحن ، طلبة كلية الآداب ، نقابل هذه الضجة بشىء من الاستعلاء الفلسفى ٠٠ فنحن ، فى نظر انفسنا ، طلبة الكلية الجامعية الام ٠٠ الكلية التى قامت الجامعة كلها على اكتافها ٠

ان الناس بعد سنة ١٩٢٥ قد نسوا ان جامعة القاهرة قد انبعثت من « الجامعة المصرية » التى اسسها الشعب فى سنة ١٩٠٧ ٠ وان « الجامعة المصرية » كانت قد تلخصت فى نهاية أمرها فى كلية « الفلسفة والآداب » ٠٠ وأن أموال هذه الكلية القديمة التى كانت موقوفة عليها ممن اسسوا « الجامعة المصرية » كانت الركيزة الاولى فى تكوين ميزانية

جامعة القاهرة عند انشائها،واساتذة «كلية الفلسفة والاداب» القديمة هم الذين شكلت منهم النواة الاولى لهيئة التدريس فى كلية الاداب بجامعة القاهرة ، بل ان مدير « الجامعة المصرية » القديمة ، وهو أحمد لطفى السيد ، هو الذى تولى منصب المدير الاول فى تاريخ جامعة القاهرة .

ودار جامعة القاهرة عند افتتاحها بالجيزة كانت تتألف من مبنيين اثنين : مبنى كلية الآداب ، الكلية الأم ، ومبنى كلية الحقوق ، فكلية الآداب مضافا اليها كلية الحقوق كانتا اساس الجامعة ، ثم انضمت اليهما كلية الطب ، ثم تبعتها الكليات الاخرى .

كل الكليات الاخرى كانت مدارس عليا ، أما كلية الآداب ، الكلية الام فقد ولدت « كلية » .. ولما كانت المدارس العليا فى الماضى تنتسب فى اسمائها الى « صاحب الجلالة » حيث كان يقال « مدرسة الحقوق الملكية » الخ الخ ـ فقد سميت جامعة القاهرة عند انشائها « جامعة فؤاد » .. وكذلك حين انشئت جامعة اسكندرية اسموها « جامعة فاروق » .. اما جامعة عين شمس فقد بحثوا لها عن اسم ملكى عند انشائها ، وكادت تسمى جامعة اسماعيل انتسابا الى ابى الملك فؤاد وجد الملك فاروق ، لكن أذكياء الدولة قد جنبوها يومئذ هذه التسمية ، واسموها جامعة ابراهيم .

سهير الطالبة المعيدة

كان دخول البنات بين صفوف الجامعيين لأول مرة حدثا .. ليس حدثا تاريخيا فقط ، بل كان حدثا نفسيا أيضا .. ففى يوم افتتاح الدراسة اجتمع الطلاب مجموعات ، وكل مجموعة تدرس كيف يستقبل الطلبة زميلاتهم الطالبات .. وكانت هناك مقترحات كثيرة تبخرت بمجرد دخول الطالبات معا الى قاعة المحاضرات .. وبطريقة تلقائية افسحنا لهن

الطريق ، فسرن معا الى الصف الاول من صفوف « المدرج » واحتللن الضفه الشرقيه من هذا الصف ٠٠ ومع ان عددهن يومئذ لم يكن يملأ نصف مساحة هذا الصف - الا أن أحدا من الطلبة لم يفكر فى أن يشاركهن صفهن ٠٠ وأصبح من تقاليد دفعتنا ترك الصف الاول للطالبات ٠٠ يدخلن معا ، ويخرجن معا ، ويتكلمن معا ، وفى فترات ما بين المحاضرات يجلسن معا وبعيدا عن الطلبة الى نهاية العام الاول ٠٠ امـــا فى العام الثانى ، ومع ازدياد عدد الطالبات فقد بدأت هذه الصورة تتغير تدريجيا ٠

وكان من أسباب تغيرها ، من غير شك تفوق الطالبة سهير القلماوى ٠٠ لقد حدا هـذا التفوق بأسـتاذنا الدكتـور طه حسين الى ان يكلف الطالبة سهير القلماوى ببعض المهـــام الدراسية التى اختص بها المعيدون فيما بعد ٠٠ وهكذا تحدد خط السير الجامعى لسهير القلماوى منذ كانت طالبة بالسنة الثانية !

بين بشار وطه حسين

وليس من شك ان الاستاذ الدكتور طه حسين كانت لـــه طرائف جامعية تذكر ٠٠ كان يميل كثيرا الى ان يجعل طلابه يسايرون بالبحث مسيرة الحركه الفكريه المعاصرة الى جانب دراسة الحركة التاريخية فى الادب ٠٠ وكان هذا شـــيئا جميلا ٠٠ لكنه ذات مرت انبرى بالنقد العنيف لقصة كتبها بالفرنسية أحد زملائه المصريين فى الجامعة ، وهو المرحوم الدكتور أحمد ضيف ٠٠ كان أحمد ضيف قد الف بالاشتراك مع اديب فرنسى قصة اسمها « منصور » ٠٠ وكان من رأى طه حسين ان هذه القصة لا هى تمثل الأدب العربى بالفرنسية ، ولا هى تمثل الآدب الفرنسى فى تطلعاته الى الافاق الشرقية ٠

كان النقد عنيفا جدا ، وكان أحمد ضيف مؤلف القصـة رجلا رقيقا جدا ٠٠ فلم يرد على طه حسين ٠٠ لكنه لم يتركها

تمر بغير تعقيب .. ففى محاضرته التالية اعلن الدكتور احمد ضيف انه سيختار من تاريخ الادب العربى شاعرا يستحق الدراسة اكثر من غيره ، هذا الشاعر هو بشار بن برد .. ولما كانت هناك صفات مشتركة بين بشار بن برد وطه حسين ، فقد قال احمد ضيف كل ما كان يريد ان يقول فى طه حسين على حساب بشار بن برد .. وكأنه لم يرد .. وكان المستفيد من هذه المعركة الادبية الطريفة هم الطلبة .. !

الصراع بين الثقافات

والواقع ان المدرسة الفكريه الفرنسية كانت لها الغلبة فى الجو الفكرى بكليتنا فى البداية .. ثم بدأت تظهر ، مع الوقت ، ملامح المدرسة الفكرية الانجليزية .. وكان بين المدرستين صراع خفى مهذب افاد منه الطلاب كثيرا .

لقد بلغ هذا الصراع الخفى المهذب قمته حينما تقدم الطالب عبد الكريم السكرى ، يرحمه الله ، برسالة للحصول على شهادة الدكتوراه . كان موضوع الرسالة عن فلسفة «سبنسر» وسبنسر فيلسوف انجليزى له نظريات خاصة شهيرة فى التربية .. فكان لابد ان يكون من بين اعضاء لجنة الامتحان استاذ انجليزى الثقافة خبير فى علوم التربية .

ولسبب لست أعلمه رشح أعضاء المدرسة الفكرية الانجليزية للمهمة الأستاذ اسماعيل القبانى ، مع انه لم يكن استاذا فى الجامعة .

وفى يوم المناقشة احتشدنا نحن الطلاب جميعا لنرى هذا الحدث الجديد بالنسبة لنا .. وفى الموعد المحدد دخلت هيئة الامتحان الى القاعة ، وهى تتألف من أستاذنا الدكتور منصور فهمى رئيس قسم الفلسفة رئيسا والاستاذ اسماعيل القبانى عضوا وعضو ثالث نسيته . والحق عليه فى هذا النسيان لانه لم يشترك فى المناقشات يومئذ الا قليلا .

كان منظر الاساتذة الثلاثة وهم يرتدون الارواب الجامعية السوداء منظرا مهيبا .. لكن هذه المهابة قد تحولت الى رهبة

حينما بدأت المناقشة بين أستاذ التربية اسماعيل القبانى وبين طالب الدكتوراه عبد الكريم السكرى .

لقد كان القبانى حادا فى مناقشته الى درجة جعلتنا نتصور ان الطالب اصبح كالكرة التى يعبث بها لاعب جبار .. ويبدو ان هذا نفسه كان احساس الطالب ذاته .. فقد بدأ صوته العالى يخفت ثم يخفت الى ان صار حشرجة تدعو للرثاء .

وعند هذا الحد تدخل رئيس لجنة الامتحان الدكتور منصور فهمى .. تدخل بصورة كشف للاذكياء ان وراء هذا النقاش وان وراء هذا التدخل صورة من صور الصراع بين الثقافتين: الانجليزيه والفرنسية .. معلنا وبكل جرأة قال منصـــور فهمى موجها خطابه الى طالب الدكتوراه :

يا عبد الكريم .. ان النظريات التى تسمع ونسمعها من الاستاذ القبانى نظريات لها ما يقابلها فى الثقافات الاخرى ، فاذا اختلف معك فليس هذا الخلاف هو نهاية المطاف .. انك تلميذى انا .. وانا اعرف مبلغ كفاءتك واستحقاقك لدرجة الدكتوراه ، وسوف نعطيك هذه الدرجة حتما فى هذا المساء .

كانت هذه الكلمات قنبلة جامعية من استاذنا منصـــور فهمى ، وقد انفجرت هذه القنبلة عندما جاء منصـــور فهمى ليعلن نتيجة الامتحان بعد مداولة اللجنة ـ فاذا بها فعلا منح الطالب عبد الكريم السكرى درجة الدكتوراه مع تقدير جيد .

وصفق الطلاب تصفيقا طويلا جدا .. وكانت هذه بعض ذكرياتى فى الجامعة .

مذكرات

وزير سابق

أخاف يوما ينتبه فيه الينا الذين أطلقوا وصف « اغنياء حرب » على الذين كونوا ثرواتهم من خلال الحرب العالمية الثانية - فيطلقون على الذين تولوا الوزارة فى النصف الاول من الاربعينات اسم « وزراء حرب » .. مع ان امثالى ممن تولوا الوزارة فى هذه الفترة - فترة ما بين سبتمبر سنه ١٩٣٩ ومايو سنه ١٩٤٥ هم اكثر الناس بعدا عن فكرة « الحرب » وعن فكرة « الثروة » معا .. لقد كان تقلد منصب الوزارة بالنسبة لى ولامثالى « هواية » سياسية كلفتنا الكثير ..

فالوزراء من قبلنا كان يتعين ان يكونوا من الأثرياء . . بعضهم كان يملك مئات او الوف الافدنة بالوراثة ، وبعضهم كان قد شغل المناصب الحكومية التى تفتح امام شاغلها ابوابا للثراء لطول مدة خدمتهم الوظائفية .. لقد كان من تقاليد بعض العهود الماضية ان يتولى منصب الوزير من احيل الى « المعاش » من وكلاء الوزارات او المستشارين .. اما انا فلم اكن الا احد المحامين .. كنت محاميا ناجحا بالنسبة لاوساط المحامين الذين لم يصلوا الى القمه . كان متوسط دخلى الشهرى من المحاماة ثلاثمائة جنيه ادخر منها مائة فى كل شهر .. فلما دخلت الوزارة اصبح دخلى الشهرى مائتين وخمسين جنيها انفق فوقها مائة لكن « صاحبة العصمة » حرمى - وكان هذا هو لقب قرينات الوزراء - كانت ترى ان خسارة مائة جنيه كل شهر لا تساوى شيئا ازاء تلقيبها بهذا اللقب وتلقيب زوجها بلقب « صاحب المعالى » !

والواقع ان لقب « صاحب المعالى » هذا كان يفتننى احيانا ولم تكن هذه الفتنة نابعة من افكارى بقدر ما كانت نابعة من الذين حولها ! .

تهانى بخمسين جنيهـا

اول يوم ذهبت فيه الى « الوزارة » بوصفى وزيرا وجدت مظاهرة .. وقد حسبت اول الامر ان هذه المظاهرة تتألف من

المؤيدين والمريدين لشخصى او لسياستى ٠٠ ثم تبينت فيما بعد انها من فئات صغار الموظفين الذين يحلمون بين الحين والحين بتغيير الوزير لكى يتقدموا الى الوزير الجديد بمطالب جديدة لما يسمى « الانصاف » لهم ٠

لقد بلغ من الحاح هذه المظاهرات وتكرارها ان احد مجالس وزراء ذلك العهد الف كادرا من نوادر الموظفين اسماه « كادر الانصاف » وفى اطار هذا « الكادر » اعطى كل موظف من هذه الفئات علاوة كان اسمها « علاوة الانصاف » !

اما كبار الموظفين بقيادة وكيل الوزارة الاول فقد وجدتهم فى انتظارى بمكتب الوزير لتقديم التهانى ٠٠ وبينما كنت اتبادل واياهم بعض كلمات المجاملة كان رجال السكرتيرية يدخلون بين دقيقه واخرى بسيول جديدة من برقيات التهنئة ! ٠

لقد عددت هذه البرقيات فاذا بها تبلغ الالوف ٠٠ ولست أذكر على طول حياتى ان لى اصدقاء يمثلون عشر هذا العدد ولا انصارا يمثلون ربعه ، لكن دخول الوزارة كان يدخل فى زمر الاصدقاء الوفا تتحدد صداقاتهم بالحدود الزمنية التى يبقاها كل منا فى منصب الوزارة !

ان بعض أولئك المهنئين لم يكن يعنيهم شيء اكثر من الحصول على برقيه رد من « معالى الوزير » ليحتفظوا بها فى سجلات مفاخرهم بانهم اصدقاء للوزراء ٠ وكنا نحن وزراء الاربعينات نعرف هذا السر ٠٠ ولا نحاول حرمانهم من هذه « المفخرة » المزعومه التى نكسب بها انصارا جددا ٠

لقد دفعت خمسين جنيها فى اول يوم لدخولى الوزارة ثمنا للبرقيات فى الرد على التهانى ٠٠ ولقد حاول سكرتير مكتب الوزير ان يضيف هذا المبلغ الى اعتمادات المكتب ٠٠ فسألته : وهل كان يعمل هكذا الوزراء السابقون ؟ فلما تلجلج فى الرد اخرجت المبلغ من جيبى وامرى الى الله ٠

لماذا دخلت وخرجت من الوزارة

وقبل ان انتقل الى الايام التالية لدخولى الوزارة لابد ان اذكر كيف صرت وزيرا ، ولماذا اختارونى – انا بالذات – لهذا

المنصب ٠٠ والقصة من اولها ان زميلنا فى مجلس الشيوخ « جلال فهيم باشا » كان قد قدم مشروعا الى المجلس بتحديد الملكية الزراعيه للاسرة ـ الأسرة بمفهومها الشامل ـ بخمسمائة فدان ، وبشرط ان يبدأ التنفيذ بعد وفاة كل مالك، لقد كان جلال باشا نفسه يملك خمسمائة فدان !

وقامت ضجة داخلية حول هذا المشروع ، الغرض منها حمل صاحب الاقتراح على ان يسحب اقتراحه ٠٠ ورفض ٠٠ ولم يجد عضوا آخر فى اللجنة المختصة التى اجتمعت سرا لنظر هذا الاقتراح سواى ٠

ودارت مشاورات سرية بين المسئولين فى القصر الملكى والمسئولين فى الدولة انتهت الى ان خير وسيلة لحمل جلال فهيم على اهمال اقتراحه وحملى على عدم تأييد او تبنى هذا المشروع هى ادخالنا الوزارة ٠٠ وقد كان ٠

المهم اننى صرت وزيرا ٠٠ وقد رغبت فعلا فى أن أمارس سلطاتى كوزير ولكن ٠

ذات يوم أحيل الى الوزارةمشروع موعز به من القصر الملكى وكان هذا الايعاز سرا لايعلمه الا رئيس الوزراء الذى لم يكن يبوح بكل الاسرار لكل الوزراء ٠٠ ودون علم منى بهذا السر بدأت اناقش فى جلسة مجلس الوزراء هذا المشروع مناقشة من يعارضه ٠

وفى اول مقابلة للوزراء بعد هذه الجلسة مع « جلالة الملك » التفت الملك الى قائلا : « يا استاذ فلان احب ان تعرف ان المرافعة امام المحاكم شيء ومعالجة الامور فى مجلس الوزراء شيء آخر » ٠

ترى من الذى نقل الى الملك تفاصيل مناقشتى ؟ ٠٠ ليس هذا هو المهم ـ المهم ان الانعام برتب الباشوية على الوزراء الجدد صدرت مراسيمه بعد ايام وليس اسمى بين المنعم عليهم !

وفاتحت رئيس الوزراء فى رغبتى فى الاستقالة بعد هذا الموقف ، لكنه كان رجلا داهية ، فابتسم قائلا : « ياسيدى بكرة تشبع رتبا والقابا ٠٠ فوت هذه المرة ونايبك محفوظ فى المرة القادمة » ٠٠ لكن حدث ما لم يكن فى الحسبان ولم يصلنى نصيبى من هذه الرتب اطلاقا ٠

لقد سقطت الوزارة فجأة ٠٠ وعدت الى المحاماة ٠٠ فاذا باجرى فى المحاماة يتضاعف مضاعفة مذهلة ٠٠ كانت القضية

التى اتقاضى عنها مائة جنيه قبل دخولى الوزارة تصل فيها «الا تعاب» بعد ان اصبحت وزيرا سابقا الى الف جنيه !

اقبلت الدنيا على مكتبى .. ولما لن أدرى لهذا الاقبال سببا .. ان اتعابى فى المحاماة لم تزد شيئا ، على العكس كان مركزى الاجتماعى ، يجعلنى احيل الكثير من القضايا الى المحامين الشبان الذين يعملون فى مكتبى ، لكن الاقبال لم ينقص . ولم اكن افهم لهذا سببا منطقيا ، اللهم الا سبب الوجاهة .. الى ان كان يوم قابلنى فيه أحد أصحاب القضايا لاجراء حوار حول موضوع قضية كنت ارى ان هذه القضية غير مكسوبة لافتقارها الى كثير من الاسانيد القانونية ، فاذا بصاحب الدعوى يلتفت الى قائلا بكل صراحة : « وهل هناك اسانيد قانونيه اقوى من اسمك او اقوى من صلتك برجال الحكم ؟ .. وهل من الضرورى ان نسير فى اجراءات الدعوى ؟ اليس ممكنا ان ـ تتوسط ـ بشخصيتك المعروفة لدى رجال الدولة ؟ »

فهمت الان سر هذا الاقبال .. ولما لم أستطع السير الى آخر هذا الشوط بدأ الكساد يدب فى اعمال مكتبى .. وأصبحت أتطلع الى يوم اعود فيه الى الوزارة ، ولو بغير رتب او القاب .

وجاء هذا اليوم .. ففى اول تعديل وزارى تال دخلت الوزارة مرة آخرى .. وبينما كنا منصرفين من القصر الملكى بعد حلف اليمين ـ همس رئيس الوزراء الداهية فى اذنى « ان شاء الله فى هذه المرة تكون اكثر توفيقا فى ادراك سير الامور حتى نسعد بزمالتك فى الوزارة مدة اطول » .

ولكن من اين يأتينى هذا « التوفيق » وانا رجل قد عودتنى مهنة المحاماة على الانطلاق .. اننى لم استطع ان اقيد نفسى بالقيود التى كان زملائى الوزراء يتقيدون بها .. لقد كان الوزراء « الثقال » لا يتحركون ولا يتكلمون ولا يتصرفون الا بقدر .. لكن ما حيلتى فى طبعى ؟ !

لقد كان من طبعى الا أفارق رفاق العمر فى مجالسهم . وفى فترة ما بين الوزارتين كان اولئك الرفاق قد اتخذوا لهم ، وانا معهم ، سهرة اسبوعية خاصة فى ملهى « الحلمية بالاس » ..

وقد امتنعت حينا عن هـذه السهرة التقليدية بمجرد دخولى الوزارة الثانية ٠٠ لكن ما كدت اسمع بعض الهمس من جانب بعض الرفاق ان الوزارة قد غيرت طباعى حتى سعيت اليهم فى سهرتهم كما كنت افعل من قبل ٠

هناك استقبلنى الرفاق بمظاهرة جميلة من مظاهر الود ٠٠ ظللت الى منتصف الليل اسمع منهم « اهلا بمعالى الوزير ٠٠ اهلا بالوزير الديمقراطى ٠٠ اهلا بالصديق الذى لا يتغير » وكنت سعيدا جدا بهـذه الاوصاف جميعا ٠٠ لكنها الدنيـا لا يمكن ان تدع انسانا فى سعادته الى النهـاية ٠٠ ولو كان وزيرا ٠٠ او على الاخص ان كان وزيرا فى هذا الزمن !

فما كاد ينتصف الليل فى هذه السهرة السعيدة الا وقد فوجئنـا بالملك مقبلا فى حاشـية من الجنسين ، ليحتل مكان الصـدارة الذى كان محجـوزا له فى هـذا الملهى الليلى ونحن لا ندرى ٠

وأخـذ الملك يمارس مباذله بين حاشـيته من الجنسـين واصـوات قهقهته تعلو عـلى اصوات الموسيقى والغناء ٠٠ ثم حانت منه خلال هذه الضجة التفاتة الى ناحيتنا ٠٠ فما ان رآنى حتى اوفد الى احد رجال الحاشية ليهمس فى اذنى بقوله « من المستحسن ان تكتفى بهذا القدر من السهرة فى هـذا المكـان مادام مولانا هنا » ٠

كانت عبـارة طرد مهـذبة لشخص من محل عام لا يملكه «مولانا» ٠٠ لكن «مولانا» كان يملك ما هو اخطر ٠٠ كان يملك اخراجى من الوزارة ٠٠ فما ان تلكأت فى تلبية هـذه الرغبة بضع دقائق صيانة لكبريائى بين اصدقائى حتى كان خروجى من الوزارة قد تقرر ٠٠ قد تقرر فى ملهى « الحلمية بالاس »!

لكن الله الذى يقف بالمرصاد قد دبر بعـد عدد قليـل من السنين اجتماعا ثوريا سريا فى نفس هـذا المكان ٠٠ وكانت نتيجته خروج الملك نفسه من البلاد خروجا لا رجعة فيـه ٠

مذكرات

ثلاثة سياسيين

لست أنا صاحب الصياغة فى هذه الحلقة من « مذكرات منسية » .. فقد صغت الحلقات السابقة وسأصوغ الحلقات القادمة لأن اهلها ليسوا كاتبين، اما اصحاب مذكرات هذه الحلقة فثلاثتهم من الاعلام.. وأولئك الثلاثة هم : عبد الرحمن الرافعى وعبد العزيز فهمى ومحمد حسين هيكل .. وقد اخترت ثلاثتهم بالذات لأنهم من القلائل الذين كانوا يمثلون تفكيرا سياسيا ناضجا مختلفا الوانه . ولأنهم قبل هذا المعنى ذوو مذكرات بعضها منشور وبعضها غير منشور . وبخاصة ما يتصل منها بعبد العزيز فهمى . فقد كان من أشد الناس زهدا فى النشر ، لكن صاحبيه قد نشرا عنه الكثير .. والفقرات التى اخترتها من مذكراتهم فقرات جرى بها قلم كل منهم قبل ان يشترك فى الحكم .. فالأفكار الواردة فيها أفكار طليقة لاقيود عليها الا من ضمائرهم .. وبخاصة ما كتبه الدكتور هيكل فى مذكراته الخاصة وهو ما يزال فى فجر الشباب .

هيكل يدعو للانقلاب

كان الدكتور هيكل فى سنة ١٩١٠ مقيما بباريس ليعد الرسالة التى حصل بها من جامعتها على درجة الدكتوراه .. كان شابا دون الثانية والعشرين ، لكن شئون بلاده كانت تملأ ذهنه .. وتملأ مذكراته الخاصة التى أعتقد انه أخطأ فى عدم ضمها الى كتاب « مذكرات فى السياسة » الذى كتبه وهو فى الستين من عمره . يقول الدكتور هيكل فى مذكرات شبابه سنة ١٩١٠ التى تبعثرت الا من قصاصات صغيرة من مخلفات شبابه .

« لاأعرف ما هو غرض الانجليز والخديو أن يعملوا فى مصر بسوء نيتهم وفساد قلوبهم من جهتها ٠٠ أراد سعد باشا زغلول أن يترك منصبه فى الوزارة ليرأس مجلس الشورى والجمعية العمومية ، وليس هناك أحد أقدر منه على ان يملأ هذا المركز فى مصر ، فلم يقبل منه ، وعين محمود فهمى العضو الدائم رئيسا !

أليس ذلك دليلا على أنهم شر الناس قصـــدا نحونا ، وأن دعواهم أنهم يعملون لخيرنا ليس الا كذبا وهراء لاقيمة له ثم هم فى الوقت عينه يغضبون أن يقال لهم انهم سيئو النية فى عملهم كلص وشريكه ٠

ان هؤلاء المستبدين لا يمكن ان يكونوا مصلحين ، وليس خير من العمل بأى وسيلة منتجة لقلب حكومتهم واجلائهم حتى لا يكونوا سبة لاصقة وعارا دائما على الجمعية المصرية » ٠

عبد العزيز فهمى ومعركة الدستور

وفى ١٥ ابريل سنة ١٩٢٣ يقول عبد العزيز فهمى - وكان من قبل نقيبا للمحامين - وهو يخاطب يحيى ابراهيم «باشا» رئيس الوزراء :

« ان الله لا يستحى من الحق ، والحق الصريح أن معظم التعديلات التى يراد ادخالها على مشروع لجنة الدستور سلب من حقوق الأمة بالباطل واضافة لجانب ملوك مصر ٠٠ فهل أنت أيضا ستكون على الأمة لا لها ؟!

ان عهدى بك انك اقوم خلقا وأكبر نفسا من ان تســـعى فيما ليس بحق ٠ غير أنى مضـــطرب البال لأنك أغرقت فى الايهام وتركت الناس حيارى لا يدرون ان كنت حقا ستعمل لاصدار الدستور خاليا من التشويه أم لا ، فأسمح لى فى أن أرجوك ان تعلن للناس رأيك بالصراحة وان تكاشـــفهم بكل اعمالك فى الدستور قبل أن تفاجئهم به نهائيا ، ولا تظن أنك

غير مكلف باجابة رجائى ، بل انك متى تأملت فى حقيقة مركزك وحددت صفتك وأهليتك قانونا أدركت حتما أن اجابة طلبى أمر واجب عليك لا تملك التحلل منه بحال ، ذلك بأن الانجليز بعد ان اعترفوا لمصر بالاستقلال والسيادة قالوا لعظمة السلطان ما حاصله أن الدستور متروك أمر وضعه لعظمته وللشعب المصرى ، فالشعب المصرى سيد وصاحب حق أصيل فى الدستور ومتعاقد أصيل فيه ، ومن ثم فلا يملك أحد ، كائنا من كان ، اصدار هذا الدستور بدون اشتراك هذا الشعب رجالا ونساء ، كهولا وفتيانا حتى الاجنة فى بطون امهاتهم ، ولما لم يكن فى استطاعة هؤلاء الاربعة عشر مليونا أن يتعاقدوا بأشخاصهم لزم ان يوكلوا من يناضل لهم ويدلى بحججهم ويتعاقد عنهم • أدرك ثروت باشا هذه الحقيقة القانونية ، فتطوع للوكالة عن الشعب فى أمر الدستور ، واشترط هذا فى صك قبوله للوزارة ، وقبل عظمة السلطان منه هذه الوكالة ، وقد استقالت وزارته بعد أن وضع فى عهدها مشروع عمل هو ما توجبه الوكالة ، فأعلن انه يرتضيه ، وانتظر رأى الشعب ، فأعلن الناس انهم لا يقنعون بأقل منه ، ثم اتت وزارة نسيم باشا ووزارتكم من بعد ، وأعلنت أن اهم اعمالها النظر فى الدستور ، فصفتك – ياسيدى – أنت وزملائك فيما يتعلق بالدستور صفة الوكلاء عن الشعب ، وليس لكم فى هذا الشأن أدنى صفة فى الوكالة عن جلالة الملك ، واهليتكم لا تعدو أهلية الوكلاء • وواجباتكم هى واجبات الوكلاء •

متى كان الأمر كذلك فلتحكم أنت على نفسك – وانت سيد العارفين بالقانون – بأن من واجبك الأكيد ان تطلع الشعب موكلك على ما جل وقل من أمور الدستور ، وألا تكتم عنه شيئا ، وألا تتنازل عن ذرة من حقه •

عبد الرحمن الرافعى وأحداث ١٩٢٥

وكتب عبد الرحمن الرافعى يصف أحداث يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ قائلا :

« استصدرت وزارة زيور فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤ مرسوما بحل مجلس النواب ، وجرت الانتخابات للمجلس الجديد فى ١٢ مارس سنة ١٩٢٥ ، وهكذا عدت الى مأساة الانتخابات ولم يمض عام على متاعبى فى المعركة الاولى ٠ وكنت أتوقع محاربة الوفد لى فى الانتخابات الجديدة بسبب موقفى فى المعارضة فبذلت فى هذه المعركة مجهودا مضنيا لا يقل كثيرا عن مجهودى فى الانتخابات الاولى ٠٠ وقد فزت بمقعدى السابق بأصوات ضئيلة ٠٠ واجتمع المجلس الجديد يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ وجلست فى مقعدى القديم استمع الى خطاب العرش ٠٠ ولكن ما كاد المجلس يجتمع فى جلسته المسائية حتى صدر مرسوم بحله فى اليوم نفسه ، فأصبت بخيبة أمل شديدة من عدم استقرار الحياة النيابية ٠

وعطلت وزارة زيور الحياة النيابية قرابة عام ، الى ان جاء شهر نوفمبر سنة ١٩٢٥ والدستور معطل ، فدعا المرحوم أمين الرافعى الى وجوب اجتماع البرلمان من تلقاء نفسه فى اليوم الحادى والعشرين من هذا الشهر تنفيذا لحكم المادة ٩٦ من دستور سنة ١٩٢٣ التى تنص بأن « يدعو الملك البرلمان الى عقد جلساته العادية قبل يوم السبت الثالث من شهر نوفمبر ، فاذا لم يدع الى ذلك يجتمع بحكم القانون فى اليوم المذكور » ٠

وقد لبت الأحزاب السياسية هذه الدعوة فاتفقت على أن يجتمع البرلمان بمجلسيه ـ مجلس النواب المنحل ومجلس الشيوخ الذى كانت جلساته موقوفة ـ فى دار البرلمان صبيحة يوم السبت ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ٠

ولما حالت القوة دون اجتماع الاعضاء فى دار البرلمان ـ أجمعوا رأيهم على أن يجتمعوا بكامل هيئتهم فى فندق الكونتنتال ٠٠ فاجتمعنا به فى الموعد المتفق عليه ٠٠ وبعد المناقشة فى الحالة التى كانت عليها البلاد قررنا بالاجماع ما يأتى :

أولا ـ الاحتجاج على تصرفات الوزارة المخالفة للدستور وعلى منع الأعضاء من الاجتماع بقوة السلاح ٠

ثانيا ـ قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة طبقا للمـادة ٦٥ من الدستور ٠

ثالثا ـ اعتبار دور الانعقادموجودا قانوناواستمرار اجتماعات المجلسين فى المواعيد والامكنة التى يتفق عليها الاعضاء ٠

رابعا ـ نشر هذا القرار فى جميع الصحف ٠

وكان النواب والشيوخ يصفقون لكل قرار من القرارات الاربعة وأخذوا يتسابقون الى توقيعها ٠

وكان هذا اليوم يوما مشهودا ائتلفت فيه الاحزاب ، وأعقبه اجتماع المؤتمر الوطنى فى ١٩ فبراير سنة ١٩٢٦ ٠٠ ثم اجراء انتخابات عامة فى مايو ٠٠ وعادت الوحدة الى الصفوف » ٠

ولست اريد ان اضيف شـــيئا من الشرح او التعليق او التعقيب على هذه الفقرات ٠٠ اننى اقدم فيها بأقلام اصحابها الثلاثة صورة الأحداث السياسية التى عاشها جيل ما بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٢٦ ٠٠ وهى صورة يغنى فيها الاجمال عن التفاصيل ٠

مذکرات

فدائی

نحن الآن فى سبتمبر سنة ١٩٥١ والجنرال كيتنج القائد البريطانى فى الشرق الاقصى قد استدعى على عجل لمواجهة حركة الفدائيين ازاء القاعدة البريطانية فى منطقة قناة السويس .. لقد جاء الجنرال مهددا وقد اشتملت تهديداته على عبارات قد تمس الدولة فى مصر،فكان رد الحكومة المصرية عليه أن قفلت آذانها دون اية شكوى من اعمال الفدائيين ، واضافت الى ذلك بيانا رسميا القاه رئيس الوزراء فى مجلس النواب باتخاذ قرار من جانب مصر بالغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ التى كان كان يعتمد عليها الوجود البريطانى فى هذه القاعدة لمدة عشرين عاما تنتهى فى سنة ١٩٥٦ لكن مصر لم تكن ملزمة بهذا الوجود على غير ارادتها .

هكذا اخذت حركة الفدائيين المصريين ازاء القاعدة البريطانية لونا شرعيا رغم عدم رسميته .

لقد بدأت حركة الفدائيين فى منطقة القناة على ايدى العمال الذين كانت تسخرهم القوات البريطانية فى السويس للعمل فى معسكراتها .. اضرب حوالى عشرة آلاف عامل عن القيام بما كان يطلب منهم فى هذه المعسكرات .

وكان طبيعيا أن ينضم الطلبة الى هذه الحركة ، فنظموا الفرق التى تشارك الفدائيين فى السويس أعمالهم ، وتشكلت لهذا الغرض لجان من القادرين على تمويل هذه الحركة .. وانا لست طالبا ولست عاملا ، لكننى مصرى ، وما ازال شابا .. فلماذا لا آخذ مكانى بين هذه الصفوف .. ان من بين هذه الصفوف صفا مختصا بجمع التبرعات ، وجمع الأسلحة ، بل وصنعها . وتوصيلها ، سرا ، الى ايدى الفدائيين فى السويس .. فلم لا أكون من بين هذه الصفوف !

ذهبت الى جمعية الشبان المسلمين فى القاهرة ، وحضرت اجتماعا من اجتماعات التدريب ٠٠ لقد لفت نظرى فى هـــذا الاجتماع ان هناك شابا من المدربين يتكلم بلغة عسكرية فنية ٠٠ حاولت أن اتعرف به ، فقيل لى ان اسمه سر ، وهمس زميل لى بقوله : انه احد الضباط الأحرار يجيئنا فى اوقات لنستفيد بعلمه دون أن تدرى القيادة بما يعمل ٠

ماذا كان فى الشرقية ؟

لقد تدربت على اشياء كثيرة فى بضـــعة أيام ٠٠ واهم من هذا التدريب اننى كنت أحد الذين وقع عليهم الاختيار للعمل فى الصفوف الخلفية لحركة الفدائيين ٠٠ كان مقر هـــذه الصفوف فى محافظة الشرقية ٠٠ وعلى ارض الشرقية انشأنا ترسانة للسلاح ، وألفنا لجـانا بعضـها للتمـويل المـالى من الموسرين وبعضها لتجنيد الاطباء والممرضين و « الممرضات » ، وبعضها لانشاء معســكرات سرية يتم فيها الاعداد لحركات الهجوم الفدائى على القاعدة البريطانية فى السويس ٠

ولقد حاولت القيادة البريطانية فى قاعدة القناة ان تعرف الطريق الى هذه المعسكرات السرية ٠٠ لكن دون جـــدوى ، لقد ارسلت القيادة البريطانية حملات تفتيش وصلت الى التل الكبير والى الصالحية فى اقليم الشرقية ، لكنها عادت خائبة ، وعبثا حاولت ان تستعين بسلطات الأمن المصرية ٠٠ فقد انضم ضمير هذه السلطات الى حركة الفدائيين ٠٠ وهذا ما يفسر لنا لماذا انتقمت القيادة البريطانية من شرطة الاسماعيلية فى ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ بنسف مقر « بلوك النظام » فى المحافظة على من فيه من الشرطيين البواسل الذين استشهد منهم يومئـذ ثلاثون شهيدا أو يزيدون ٠

الواقع ان هذا الحادث الفظيع قد زاد حركة المقاومة عنفـا على عكس ما كانت تظن القيادة البريطانية ٠ وقد ترتب عليه ان القوات البريطانية فى قاعدة السويس قد فقدت كل شىء

يمكن ان تحصل عليه من أرض مصر ٠٠ حتى ماء الشرب صارت القيادة البريطانية تستورده من الخارج بعد ان اصبح جنودها لا يجدون امامهم الا ماء البحر الملح ليشربوا ٠

ولقد حاولت القيادة البريطانية بأى ثمن ، ان تتعرف على بعض من يقومون بهذا النشاط ، لكنها عجزت ٠٠ عجزت رغم محاكمتها وتعذيبها لبعض الذين وقعوا فى ايديها من المصريين٠٠ ولقد ساعد على هذا ان قيادة المقاومة كانت قد جعلت كل فرقة من فرق الفدائيين لايعرف اعضاؤها اعضاء الفرقة الاخرى بأشخاصهم ٠

رسالة من فدائى آخر

من هذه الفرق الاخرى فدائى بعث الى بهذه الرسالة :

« أكتب اليك عن فترة قبل طلوع الفجر ٠٠ فجر ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ٠٠ فترة ما بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى اكتوبر ١٩٥١ وقد اندفع الشباب الوطنى من جميع انحاء البلاد يحمل سلاحه للذود عن أرض الوطن التى دنستها اقدام المستعمر ٠

فى هذه الايام ظهر منشور الضباط الاحرار : انسفوا قناة السويس أو بارجه حربية بريطانية ـ واندفع شبابنا الى مدينة السويس بأسلحة اوتوماتيكية خفيفة ومدافع رشاشة ماركة برتا ورشاشات برن وبنادق لى انفيلد العتيقة ٠٠ ويشاء الحظ أن تقوم احدى البواخر المارة بقناة السويس بتفريغ شحنة من صناديق البارود والديناميت برسم وزارة الحربية الافغانستانية «ترانزيت» واستقرت الماعونة الحامله للشحنة الخطيرة على رصيف ميناء البترول ، وكان من السهل على افراد الكفاح المسلح بالسويس أخذ اى كمية من هذه الصناديق لاستعمالها فى عمل الالغام التى كانوا يصنعونها بأيديهم من البارود والديناميت وزيت البرافين وكسر الحديد الخردة ، ثم المفجر

وفتيل الاشعال ثم يوضع الكل فى صفيحة كبيرة ٠٠ وفى أول عملية تم دفن هذا اللغم بأسفل قضبان السكة الحديد عندمعمل البترول ، وتم نسف جزء منهذه القضبان كانت كافية لانقلاب قطار حربى بريطانى كان قادما من ميناء الأدبية وتعطل الخط مدة كبيرة لحين اتمام تقطيع القاطرة التى لم يتمكنوا من رفعها لأنها غاصت فى الارض الرخوة ٠٠ وكان نصيب محطة ترشيح المياه للمعسكرات البريطانية عدة ألغام وتم نسف شبكة المواسير الموصلة للمحطة بمثل هذه الالغام ، وكذلك تم نسف جزء من معسكر الاشارات بالمثلث ، وكذلك ورشة تصليح الدبابات والسيارات الثقيلة ٠

العملية التى لم تتم

وفى أثناء ذلك كان الاستعداد والتجهيز للعملية الكبيرة التى أشار اليها منشور الضباط الاحرار وهى تعطيل قناة السويس بنسف باخرة حربية بريطانية فيها ، وأمدنا احد الضباط البحريين وكان يعمل باحدى الشركات الملاحية بالسويس بعد احالته للمعاش وكان له تاريخ حافل من الاعمال الوطنية ٠ آمدنا هذا الضابط بالخرائط اللازمة لقناة السويس لاختيار المكان المناسب للعملية ٠

وتم الاتفاق مع قبطان مصرى يعمل على احدى البواخر التجارية الراسية بميناء بور توفيق للاصلاح وترفع العلم السعودى لتكون محل اقامة الافراد الذين كانوا فى انتظار اللغم البحرى الذى سيقوم بارساله من العريش بعض الضباط الأحرار٠وفعلا وصل اللغم الى القنطرة واحتفظ به مأمور الجمرك لحين اتمام نقله الى السويس بسلام ٠

ولكن حدث مالم يكن فى الحسبان ٠

فبعد ان ترك الفدائيون المنطقة بسبب مطاردة البوليس لهم ٠٠ ولم يظهر أى من افراد المجموعة المكلفة بالعملية فى مساكنهم او عملهم وقد بحث عنهم أحد افراد الكتيبة وكان

يسمى نفسه القائد ولم يجدهم فعاد ثانيه الى السويس ومنها الى بورتوفيق ووجدهم هناك وبدأ يسأل ويستفهم عن سبب وجودهم ببور توفيق ولكن أحدا لم يخبره بشىء لعلمهم بأن له اتصالات مشبوهة ببعض الجهات بالقاهرة وعاد القائد المزيف الى القاهرة وكله شك فى ان مجموعة الافراد يعدون العدة للقيام بعملية مافى السويس والحقد فى قلبه على المجموعة لعدم مكاشفته بالسر .

والعملية التى تمت

ولم تمض بضعة أيام وكانت التجهيزات الاخيرة للعملية لم تتم حتى كانت بورتوفيق كخلية نحل من كثرة البوليس السرى فتأكد لدى المجموعة ان فى الامر شيئا وبالاتصال بأحد ضباط الحدود بالشط وكان يقوم بمهمة ضابط اتصال بين قيادة العملية ومجموعة الأفراد اخبرهم بأن الامر صدر من القيادة بالغاء العملية وانه مكلف باستلام أسلحتهم وتوصيلهم الى القاهرة . وكان الغاء العملية صدمة للأفراد فلو تمت هذه العملية لوصل انفجار اللغم الى الدنيا .

ولكن بعد بضعة أشهر اكتشف أفراد المجموعة ان الغاء العملية جاء بعد ان استقر الرأى على العملية الكبيرة «نصر» وكان ميعادها الليلة الخالدة .. ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واستمع العالم بأسره لصوت انفجار الثورة » .

مذكرات

عاملة تليفون

جاء خريف سنه ١٩٢١ ولم يرسل لنا ناظر الوقف حصتنا من ثمن محاصيل الارض التى تركها جدى ٠٠ ان ناظر الوقف ينتقم من المرحوم ابى فى شخص بناته الثلاث وانا التى اعتبر كبراهن لم أبلغ أدنى سن الرشد سن الثامنة عشرة ٠٠ وكنت طالبة فى مدرسة من مدارس اللغـــات ٠٠ ومصروفات هذه المدارس كبيرة ، لكن من أين لنا ان نأتى بهذه المصروفات وناظر الوقف يتلكأ فى أرسال حصتنا ، والمدرسة لا تقبل التحاقى بها الا بعد سداد المصروفات ٠٠ عرضت على أمى أن أبحث لى عن عمل ، فاعتبرتها « عيبة » كبيرة فى حق الاسرة أن تخرج بنت من بناتها الى دوائر الاعمال التى تختلط فيها بالرجال ٠٠ لكننى اليوم عثرت فى احدى الصحف على اعلان من شركة التليفونات تطلب فيه عددا من البنات المصريات كى يحللن محل البنـات الاجنبيات فى وظيفـة « الســنترال » ٠٠ وكلمـة « سنترال » اذ ذاك كانت تطلق على عاملة التليفون ٠

فهرعت الى امى بالاعلان ٠٠ وقلت لهـا : هـذه وظيفة لا احتكاك فيها بأحد ٠٠ ان عاملة التليفون تجلس فى غرفة مغلقة كى تلبى طلبـات المشـتركين بالاذن فقط ٠٠ وتحت ضغط الحاجة قبلت امى ٠٠ وقبلت الشركة طلبى ٠

كانت التليفونات على عهد الشركة شيئا يختلف عما حدث فيما بعد ٠٠ كان المشترك يدير يد التليفون فى بيته او فى مكتبه فترفع عاملة التليفون السماعة وتتلقى منه « النمرة » التى يطلبها ثم تطلبهـا له ٠٠ كانت « الســـنترال » بمثابة سكرتيرة خاصة لجميع المشتركين ٠٠ لكنها كانت سكرتيرة « محترمة » لانها كانت فى الماضى « اوربية » ترد على المشتركين بعزة وكبرياء ٠٠ وبعـد قيـــام ثورة ١٩١٩ ارادت الشركة استرضاء المشتركين بتعيين بعض الفتيات المصريات فى هذه

الوظيفه حتى لا تصدم اسماعهم اللكنه الاجنبية فى أصـوات « السـنترالات » القـدامى ٠٠ ومـع هـذا فقـد كان عـلى « السنترالات » المصريات ان يحذقن الرد باللهجات الاجنبية ، وخاصة الفرنسية التى كنت اتقنها ، لان كثرة من المشتركين كانوا مـن الاجانب ، بينما كان التليفون بالنسـبة لاوساط المصريين فى عداد الـكماليات التى لاتتحول الى ضروريات الا بالنسبة لمن كانوا يسمونهم « علية القوم » أو اصحاب الاعمال بالاضافة الى مكاتب كبار الموظفين فى الدولة ٠

التليفون من الممنوعات

كنت واحدة من عشر فتيات مصريات عين فى الدفعه الاولى بين عشرات من الفتيات الاجنبيات القدامى اللواتى لم تكن الشركة قد صفت مراكزهن بعد ٠٠ وفى اليوم الاول لاستلامنا العمل نظرت الينا الفتيات الاجنبيات شـزرا ، ولم يخل الامر من كلمة سخريه القتها احداهن باللغة الفرنسية ظنا منها اننا جميعا لا ندرك اسرار هذه اللغة ٠٠ وفهمت انا من بين زميلاتى المصريات معنى عبارتها ، ورددت عليها بأشد منها ، فكان هذا الرد خطا فاصلا بين « السنترالات » المصريات الجديدات وبين زميلاتهن الاجنبيات ٠٠ فقد وزع مدير الشركة العمل بيننا فى شىء من اللباقة بحيث تكون للمصريات نوبات عمل لا يلتقين فيها بالاخريات ٠

وبعد فترة المران اختصونى بسنترال لاظوغلى حيث توجد فى هذه المنطقة غالبية دواوين الحكومة فضلا عن امتداد هذا السنترال الى حى جاردن ستى الذى كان لا يسكنه من قبل غير الاجانب ، ثم بدأت تزحف اليه بعض الاسر المصرية الموسرة المتطورة اجتماعيا ٠٠ وكان دخول التليفون الى بيت من بيوت الاسر اذ ذاك يعتبر لونا من الوان التطور ٠

لقد كانت الاسر المحافظة ، وما كان اكثرها فى سنة ١٩٢١ وما بعدها من العشرينات ، ترى ان دخول التليفون الى بيت من البيوت كارثة ٠

ومن الطرائف التى سمعتها اذ ذاك ان اقطاعيا كبيرا من رجال الريف ، له ولد يعيش فى القاهرة ٠٠ ومع ان هذا « الولد » كان شابا متزوجا وله من زوجته طفلان — الا ان اباه حين يحضر الى القاهرة لزيارته كان « الولد » ينزع جهاز التليفون من مكانه ويخفيه فى احد الدواليب طيلة ايام زيارة ابيه !

واكثر من هذا طرافة ان رب اسرة كانت تضطره اعماله لان يكون بمنزله تليفون — فاذا ما ازمع مبارحة المنزل « كتف » جهاز التليفون بالسلاسل حتى لا يستعمله البنون والبنات فى غيابه ٠٠ ومع هذا فان البنين والبنات لم يعدموا حيلة لفك اغلال التليفون واستعماله ، ثم اعادة ربطه بالسلاسل قبل ان يعود رب الاسرة ٠

اول « نمرة » طلبت منى فى اول يوم لاستلام وظيفتى بعد فترة التدريب كانت من بعض ابناء احدى هذه الاسر وكانت « السنترال » رقيبة طبيعية غير مختارة على مكالمات المشتركين فسماعة الجهاز ملتصقة دائما بأذنيها ، وطالما لم يطلب مشترك اخر نمرة اخرى — فان المكالمة التى كانت تجرى بين «النمرتين» تمر بأذنيها سواء ارادت او لم ترد !

المكالمة الاولى

كانت المكالمة الاولى التى سمعتها بين شاب من «اولاد الذوات» وفتاة لست ادرى ماهى علاقته بها ٠٠ هل كانت خطيبته ٠٠ هل كانت قرينته ؟ هل كانت جارته ؟ انها لابد ان تكون واحدة من هؤلاء اذ ان الزمالات بين الشباب والبنات لم تكن موجودة ٠

كان يطلب منها ان يراها ، فتجيبه : ولكن كيف ؟! فيجيبها : المسألة بسيطة ياسيدتى ٠٠ يمكنك ان تذهبى الى محلات اورزدى باك لتشترى اى شىء — الست ستشترين الآن ثياب فصل الشتاء — وهناك نلتقى فى جناح الاقمشة الصوفية أنت تشترين قماش فستان ، وأنا اشترى قماش بذلة ٠

قالت له : وهل تظن اننى أستطيع الذهاب الى محلات اورزدى باك بمفردى أن «داده» ستكون معى حتما ٠٠ فأجابها: ياعزيزتى انا متبرع لحضرة « الدادة » بشراء « طرحة » ومعها « دستة مناديل » فى نظير سكوتها ٠٠ فقالت له : بشرط ألا تفتح فمك بكلمة واحدة ٠٠ اننى سأطيل الوقوف بجناح الأقمشة الصوفية حتى أراك وترانى قدر مانستطيع دون اية اشارة ، فأجابها : انا متشكر جدا ، وكفانى اشارة العيون .

المكالمة الثانية

أما فى اليوم التالى فقد كان حظى من المكالمات خطيرا ٠٠لقد سمعت رجلا يقول للآخر : «ان سعد باشا قد اعتقل ٠٠ اعتقله الانجليز سرا دون ان يعلم أحد حتى الآن والصحف ممنوعة من النشر . فابعث بالخبر الى كل لجاننا فى احياء القاهرة وسائر الاقاليم »

وفجأة وجدت نفسى أشترك فى عمل وطنى ٠٠ فقد كنت كلما التقيت بانسان لاأتمالك نفسى من ان ابلغه الخبر ٠٠ لكننى كنت اتعجب حين كنت ألتقى بأناس سمعوا بهذا الخبر قبلى ٠٠ لقد كانت هناك صحافة بشرية متنقلة تذيع أنباء الثورة بأكثر مما تذيعها الصحف !

المكالمة الثالثة

على ان أخطر مكالمة سمعتها كانت فى اواخر نوفمبر سنة ١٩٢٤ ٠٠ لقد سمعت شابا يخاطب شابا آخر قائلا : « لقد تحايلت الآن على الاستاذ كلمنت لأخرج من حصته ، ثم تحايلت على بواب المدرسة لأخرج لمدة دقائق ثم أعود ثانية ٠٠ وهأنذا الآن جاهز ، فهل أنتم كلكم جاهزين ؟» ٠٠ فاذا بالشاب الآخر يجيبه بعبارة لم أفهمها . لقد قال له : « كل الصيد فى جوف الفرا » ٠٠ وانتهت المكالمة !

وحدث بعد ذلك ان اغتيل سير لى ستاك سردار الجيش المصرى ، وهو جنرال انجليزى .

ان شيئا ما داخل نفسى كان يحدثنى بأن المكالمة التى سمعتها كانت ذات علاقة بهذا الحادث .. وبعد بضعة أشهر تبين لى أن ظنى كان صحيحا . وذلك من تفاصيل القضية التى كانت تنشر فى الصحف ، ومنها ان عبدالحميد عنايت الذى كان طالبا بمدرسة المعلمين العليا خرج من حصة أحد الاساتذة الانجليز ليشترك فى مقتل القائد الانجليزى ثم يعود الى قاعة الدرس بعد دقائق ..!

لقد أحسست بعد هذه الواقعة ان وظيفتى التى كنت أستمتع فيها بسماع أخبار الناس اصبحت ثقيلة على نفسى .. وزاد من ثقلها ان السن تتقدم بى بلا زواج ، فقد كان زواج عاملة تليفون اذ ذاك أمرا عسيرا .. لكن ما أعدل قضاء الله .

فذات يوم طلب منى أحد المشتركين «نمرة» .. فلما تأخرت مضطرة عن اجابة طلبه لان «النمرة» كانت مشغولة انهال على باتهامات الاهمال .. وفى غمرة غضبه قال لى : «ألا تعرفين يا « مدموازيل » من اكون ؟ » ورددت عليه فى عصبية قائلة : وهل تعرف انت من أكون ؟ .. قال : وماذا تكونين اكثر من « حتة سنترال » . فأجبته : بل أنا من أسرة قد تكون اكبر من أسرتك .

وانتهت هذه المشادة باصرار المشترك على ان يرانى .. رفضت طلبه .. فاذا به يتحرى عنى من كل سبيل بعد أن كان يقف على ناصيه الشارع الذى انصرف عبره من عملى الى منزلى . وفجأة تقدم هذا « المشترك » الى أمى يطلب يدى .. وفجأة وجدت نفسى أستقيل من وظيفة «سنترال» لأشغل وظيفة زوجة مهندس التليفونات الجديد .

مذکرات

کمساری

قالت لى ابنة خالتى : او تظن اننا نستطيع ان ننتظر ثلاث سنوات اخرى بغير زواج ؟ . كان هذا فى سنه ١٩١٠ ، وكنت اذ ذاك طالبا بالسنة الاولى فى مدرسة المعلمين الاوليــة .. وكنت أحب ابنة خالتى وتحبنى ، والحب فى سنة ١٩١٠ ليس أمامه غير طريق واحـد ، هو الزواج . والزواج ليس له غير طريق واحد هو طريق القـدرة على ان يعول الزوج زوجته .. فلم يكن امامى ، بالتـالى ، الا طريق واحد ، هو ان ابحث عن عمل يدر عـلى دخلا أتعايش به أنا والتى أحبها وأزيدها زوجا . وقد وجدت هذا العمــل فى مكتب الاستاذ « س» الافوكاتو أى المحامى .. وكان هـذا العمل هو وظيفة « صبى محام » أى كاتب بمكتب المحامى الذى أشتغل عنده .. وقد قبلت هذه الوظيفة سعيدا ، فقـد كان مرتبها جنيهين كل شــهر عـدا الهبــات التى كان يمكن أن أتقاضاها من أصحاب الدعاوى المكسوبة . لكن وكيل المكتب وهو أكبر شخصيات المكتب بعد الاستاذ كان رجلا جشعا ، كلما رأى صاحب دعوى يهـم بمنحى شــيئا خلق لى جوا من النكد الذى بدأ يتصل بحياتى اليومية حتى أخذت افكر فى ممارســة عمل آخر .. لكن ماذا يكون هذا العمل !؟

كان زميلى (محرم) الذى يعمل بوظيفة (صبى محام) مثلى فى المكتب المجاور لنا يقع فى نفس هذه المشكلة وبعد ايام من تبادل الشكوى بيننا جاءنى محرم ذات يوم متهللا يقول لى : لقد وجدت عملا اخر لى ولك أيضا .

ـ وما هو هذا العمل يامحرم ؟

ـ وظيفة كمسارى فى شركة سوارس .

ـ وهل هو عمل محترم لا تضيق به عروسى ؟

ـ المهم ياصاحبى ان اجر هذا العمل ثمانية قروش فى النوبة الواحدة فاذا عملت فى اليوم نوبتين حصلت على ستة عشر قرشا فى اليوم ٠

وكدت اطير من الفرح ، فستة عشر قرشا فى يوم من أيام سنة ١٩١٠ تمكننا من عيشة عريضة جدا بالنسبة لبيئتنا ٠٠ وبعد بضعة ايام صرت كمساريا فى شركة سوارس٠

ان (سوارس) هو اسم المليونير اليهودى الذى اسس فى القاهرة اذذاك بنكا باسمه ثم فاضت ارباحه فأسس شركة الاتوبيس التى تسمى بهذا الاسم ، وكان اتوبيسا بدائيا تجره البغال ٠

كان ثمن التذكرة فى (سوارس) فى سنة ١٩١٠ ثلاثة مليمات يدفعها الراكب من ميدان السيدة زينب الى ميدان القلعة او من احد الميدانين الى ميدان الحسين ٠ كان (الخواجة سوارس) رجلا ذكيا فلم ينشىء غير هذين الخطين لان الترام لم يكن قد وصل اليهما ، فكانت (سوارس) هى وسيلة النقل الوحيدة فى هذين الخطين ٠

وفجأة اشترى الخواجة سوارس خط سكة حديد حلوان ٠٠ وكان من الطبيعى ان يكون كمسارى القطار فى درجة أرقى من كمسارى اتوبيس البغال ٠٠ فعملت كل ما وسعنى من جهد حتى اصبحت كمساريا فى سكة حديد حلوان ٠٠ واصبحت (افنديا) بعد ان اشترت الحكومة هذا الخط ٠

وتشاء المقادير بعد تعييني فى سكة حديد حلوان بفترة ان تقوم الحرب العالمية الاولى وان تصبح ضاحية حلوان معسكرا كبيرا للقوات البريطانية التى كانوا يختارون لها أصح الاماكن لاقامتها ٠ لكن ضاحية حلوان كانت فقيرة فى الملاهى فكان الجنود الانجليز يفدون على القاهرة كل مساء لحضور ملاهيها ثم يعودون آخر الليل الى معسكراتهم فى حلوان ٠٠ وياويل الكمسارى الذى كانت نوبته فى آخر الليل ٠

كان الكمسارى فى هذه النوبة هو الوحيـــد الذى يلبس طربوشا بين شاغلى عربات القطار ، وكان الطربوش الأحمر على رأس الكمسارى يفتح شهية الجنود الانجليز السكارى لاقامة مباراة فى كرة القدم مع استبدال الكرة بالطربوش ٠

لقد غلا الدم فى رأسى من هذه الفعلة ، مع انها لم تكن معى ٠٠ كانت مع زميلى ، فاختطفت قبعة احدهم وصرت أقذفها بقدمى ٠ وشبت معركة أوقفنا بسببها مسيرة القطار وتجمع كل عماله من المصريين واوسعنا الجنود الانجليز السكارى ضربا ٠٠ وفى الصباح التالى اوقعوا علينا العقاب ٠٠ وكان عقـــابا سعيدا ، فقد كان من بين العقـوبات نقلنـــا من خط حلوان ٠٠ وصرت كمساريا على الخطوط الرئيسية بســــكك حديد الحـــكومة المصريه ٠

لقد كانت امتع الورديات هى التى اكون فيها عـــلى الخط المباشر بين القاهرة والاسكندرية ٠٠ كان ركاب هــــذا الخط يمتازون على غيرهم ٠٠ فهم غالبا من كبار المصطافين صيفا ٠

كان اول مالفت نظرى فى الخدمة على هذا الخط منظر (نجيب افندى) ٠ ونجيب افندى صاحب الشوارب المفتولة فى اناقة هو مندوب جريدة المقطم ٠ كنت اذا جئت فى الصباح الباكر لاتسلم عملى فى القطار ألتقى بنجيب افندى وكانت تحيته لى مصحوبة بنسخة من الجريدة يقدمها هدية يومية لى لكى (اتسلى فيها) على حد تعبيره ٠٠ وعن طريق هذه الهدية الصحفية نشأت صداقة بينى وبين نجيب افندى ، وعن طريق هذه الصداقة كان نجيب افندى يحصل منى على كل أخبار القطار ٠

لقد كانت جريدة المقـــطم تنشر بابا يوميا تحت عنوان : (القادمون والمسافرون) وهو الباب الذى كان نجيب افندى يستقى كل معلوماته منى شخصيا ٠

لكن مايكاد القطار يتحرك حتى كانت الشـــواغل تشغلنى عن نجيب افندى وكان فى مقدمة هذه الشـــواغل ماكنت أراه يوميا فى (ديوان الحريم) ٠

لقد كان محظورا على السيدات ان يجلسن فى مقاعد الرجال . فكان الأفندى أو البيك من الركاب يوصل السيدة التى معه الى (ديوان الحريم) ثم يجلس هو فى أى مكان يختاره من مقاعد العربة .. كان هذا كله شيئا مألوفا .. أما الذى كان يحدث استثناء فهو منظر الشاب الذى يدعى أنه مار من مقعد الى مقعد أو من عربة الى أخرى ، ليس لشىء الا لكى يتلكأ لحظة أمام ديوان الحريم حتى يرى (نور العين) التى يحبها وربما تكون خطيبته التى لا يمكن ان يراها قبل ليلة (الدخله) الا خلسة .. وياويل هذا الشاب اذا لمحه أحد المسافرين الذين يستصحبون نساءهم .. لقد كان من مهام وظيفتى ان افض المشاجرات التى تنشأ لهذا السبب ، وكان الركاب عادة يتدخلون فى هذه المشاجرات ضد الشاب صاحب هذه الفعلة .. الشاب الذى اجترأ على تقاليد المجتمع .

كان هذا النوع من المشاجرات يكثر فى الربيع ويكثر فى الصيف حيث كانت تزداد حركة السفر من القاهرة الى اسكندرية أو من اسكندرية الى القاهرة .

وقامت ثورة ١٩١٩ ، وقطع الفلاحون خطوط السكك الحديدية فى طول البلاد وعرضها .. واصبحنا بلا عمل اياما . وأرادت القوات البريطانية ان تعيد تسيير بعض الخطوط التى تهمها ، لكن عمال السكك الحديدية جميعا رفضوا التعاون معها .

لقد تعلمنا من الفلاحين درسا من دروس الوطنية ، فشكلنا - نحن موظفى السكك الحديدية - لجنة للجهاد الوطنى . ولقد نظمت هذه اللجنه اضراب موظفى السكك الحديدية .. وقد ردت القيادة البريطانية على اعلان هذا الاضراب بمنشور يقولون فيه ان كل من لا يعود الى عمله خلال اربع وعشرين ساعة يعتبر مفصولا .. لكن كيف كانوا يستطيعون فصل كل الأيدى العاملة فى هذا المرفق .. لقد كان الكل مضربين ابتداء من المديرين

الى عمال الدريسة ولم يفد هذا المنشور شيئا فتبعه منشور آخر باغداق المنح على الذين يعودون دن ان يعود احد .
وظللنا نمارس هذا الاضراب حتى اوعزت الينا القيادة الوطنية بالعودة تيسيرا على رجالها فى التنقل بين مدينة واخرى .. فعدنا .

وفى سنة ١٩٢٤ عندما شكلت أول حكومة وطنية كافأت الذين جاهدوا فى الوطن حق جهاده .. فصرت مفتشا ، لكنى لم انس يوما من الايام الحلوة التى قضيتها كمساريا ارى وأسمع من ركاب القطارات مالا عين رأت ولا أذن سمعت .

مذكرات

شرطي

انا ممتن جدا لحكومة الستينات لانها ألغت نظام « الدوريات » واحلت محله نظام الخدمات الشرطية السريعة عن طريق شرطة النجدة وغيرها من التشكيلات ·· ومع انني، شخصيا ، قد ارتفعت من قبل الى « صف ضابط » وسقط عني تكليف الاشتراك في الدوريات ـ الا انني لازلت أذكر عشرين سنة سابقة كنت مكلفا فيها بالوقوف ست ساعات في كل يوم في الشوارع ·· وكلمة « وقوف » هنا كلمة مطاطة فقد كان الوقوف يتحول الى تجوال في منطقة مساحتها كيلومتر يزيد أو يقل قليلا ·· ولم يكن هذا التجوال رياضة ولا (فرجة) انما كان لمراقبة الأمن والنظام في هذه المنطقة التي يعتبر الشرطي (النوبتشي) نائب الحاكمدار أي نائب مدير الأمن فيها لمدة نوبته وهي ست ساعات بالليل لمدة اسبوعين ·· وليس شك ان شباب العساكر كانوا يفرحون بهذه الوظيفة عند تعيينهم فيها ، لكنهم ما يلبثون ان يشعروا بالضيق منها ، ليس فقط للوقوف أو المشي ست ساعات متصلة ، لكن لطول (الشريط) الذي كان يمر أمامهم خلال هذه الساعات ، وهو ما سأحاول تصوير بعضه في هذه المذكرات ·

ان هذا الشريط كان يبدأ قبل موعد (الدورية) بنصف ساعة في قسم الشرطة ·· فاذا كانت (الدورية) هي دورية الساعة السادسة صباحا كان على المائة عسكري الذين يمثلون قوة القسم الحضور الى مقر عملهم في الخامسة والنصف صباحا لكي يصطفوا طابورا طويلا من صفين يمر بينهما نائب المأمور ، أو من يقوم مقامه ليفتش نظافة العساكر ، ويا ويل من كان يبدو حذاؤه غير لامع أو تبدو ياقة سترته غير مستقيمة ·

فاذا تمت عملية التفتيش ويتبعها القاء التعليمات اليومية على العســاكر نادى نائب المــأمور أو من يقوم مقــامه بأن يتشكل المائة عسكرى فى خمس أو ست دوريات ، كل دورية تتجه تحت امرة جاويشها الى المكان المخصص لها من شوارع القسم .

لقد كان هناك منظر طريف يتكرر كل يوم فى لحظة خروج الدورية من باب قسم الشرطة ـ منظر المارة وهم يلقون نظرة على الساعات التى تحملها ايديهم ثم ضبطها على الســـاعة السادسه .. كانت الشرطة مشهورة دائما بدقة مواعيـدها ، وكان خروج الدورية من باب القسم يساوى فى نظر اولئـك المارة طلقة مدفع الظهيرة التى يضبط عليها الناس ساعاتهم .

واطرف من هذا المنظر منظر الباعة الجائلين غير المرخصين فانهم مـا يكادون يلمحون (الدورية) آتيـة من بعيـد حتى ينبه بعضهم بعضــا الى الفرار من طريق الدورية الى الدروب الضيقة التى لاتمر منها وعلى رأس كل طريق ينفصل احـــد عساكر الدورية ليلقى التحية عـــلى زميله صــــاحب النوبة السابقة الذى يكون فى انتظار بديله كى ينصرف الى ساعات راحته ، لكن هذه الراحة لم تكن تبـــدأ الا بعـــد ان يعـود العسكرى الى مقر الشرطة كى يثبت وجوده ويقدم الى جاويشه بيانه اليومى ــ وكم كان فى هذا البيان من العجائب .

انا الحكومة

قبل ان أقدم طرفا من هذه العجائب لابد أن اقدم نفسى .. فانا اصلا فلاح من (ميت رهينة) قضيت مدة التجنيد منــذ بلغت الحادية والعشرين من عمرى وكانت مدة التجنيد خمس سنين ، فالذين يظهرون خلال هذه المدة شيئا من الكفاءة تكون امامهم فرصة التوظف فى الشرطة وكنت انا ممن حصلوا على هذه الفرصة ــ فرصة شغل وظيفة عسكرى بوليس باحــد

أقسام القاهرة ، وكان مرتبى أول الامر ثلاثة جنيهات شهريا ٠٠ لكن التطور قد جعل هذه الجنيهات الثلاثة ستة ٠

من هذه الجنيهات الستة كنت ادفع المعيشة والسكن مضافا اليها نفقات كى الملابس وتلميع الحذاء يوميا ٠٠ الواقع ان جيبى كان غالبا فى حالة (خلو) تام ٠٠ لكننى كنت استعيض عن هذا (الفلس) بمظاهر الابهة التى كنت أعيش فيها بين الأهل والجيران وعابرى السبيل ٠

كان عسكرى الشرطة فى جيلى هـــو (الحكومة) لقد كان العسكرى منا يشعر فى (النقطة) التى يقف فيها على قارعـــة الطريق انه ممثل الحكومة الاوحد تكفى اشارة منه لتغيير مجرى اشياء كثيرة فى الطريق ٠

كان الناس طيبين معنا دائما ٠٠ يكفى اذا تجمهر بعضهم ان اقول : (كل واحد يروح لعمله) حتى ينتهى هذا التجمهر ٠

ماذا تريد يـا شرطى ؟

لقد كانت (دورية النهار) شيئا مسليا حقا ٠٠ كنت اجد دائما من اتسلى معه من الناس ، فان لم اجد سرت الى اخر حدود نقطتى حتى التقى بزميلى المكلف بالنقطة المتاخمة فنظل ساعة أو أقل أو أكثر فى احاديث مختلفة لا يقطعها الا سماع الصفارة ٠ لقـــد كان الناس قـــديما عـــلى شىء من الدراية ببعض مقتضيات الامن ــ فما تكاد تقع حادثة حتى يخرج احدهـــم صفارة يصفر فيها حتى اهرع اليه لضبط الحادثة لســـوق مرتكبيها الى دائرة الشرطة ، أما دوريات الليل فكم كان فيها من الويل ٠

كان الناس اقل سهرا من الان حتى ليبدو الطريق بعـــد منتصف الليل خاليا لا يسمع فيه صوت الا وقع حذاء عسكرى الشرطة ، وكان وقع هذا الحذاء عـــلى الارض يؤنس الخائفين

والخائفات لانهم يشعرون بأن هناك حارسا يحرسهم مع ان هذا الحارس قد يكون فى بعض الظروف بحاجة الى من يحرسه ٠٠ لكن الحارس الأكبر دائما هو الله ٠

لقد كان من المناظر المألوفة لى فى دورية الليل منظر العاشقين الذين يتسللون فى جنح الظلام بعيدا عن عيون الناس وفضولهم لكن اين يذهبون من عيون عساكر الشرطة ٠

كانت التعليمات لدينا الا نتعرض لهؤلاء الا اذا ارتكب احدهم فعلا فاضحا ٠٠ وقد رأيت هذا الفعل الفاضح ذات مرة ٠

ذات مرة فى دورية الليل لمحت شابا وفتاة وقد ذهبا فى عناق طويل وراء شجرة كبيرة على رصيف الشارع ٠ تنحنحت مرة بعد مرة فلم ينتبها ٠٠ يبدو ان الغرام قد سد آذانهما ٠ اقتربت منهما فلم ينتبها ٠٠ فلم يكن أمامى الا ان اشد الشاب من ذراعه ٠٠ فاذا به فى نشوة سكره يسألنى من انت ؟

ـ أنا الشرطى ٠

ـ وماذا تريد منى يا شرطى ؟

ـ ماذا اريد ؟ ٠٠ اريد حماية الاداب ٠

ـ الا تعلم من انا ؟

ـ ومن تكون الا مخالفا للأداب العامة ؟

ـ لكن انا ابن فلان باشا ٠٠ وخير لك ان تبتعد عنى والا رحت فى داهية ٠

لقد كان أمامى احد امرين ٠٠ اما ان أخاف من هذا التهديد واما ان اذهب مع هذا الشاب الى نهاية الشوط ٠٠ وقد اخترت الثانية ، لقد سقتهما الى قسم الشرطة ٠٠ وفى دائرة القسم اكتشفنا ان ابن الباشا المذكور ليس الا نصابا يغرى هذه الفتاة المسكينة بالزواج ثم يختلس فى لحظات العناق متاعها ٠

المرأة التى قالت يا عسكرى

وفى ليلة أخرى سمعت صراخا يتصاعد من امرأة فى الطابق الارضى من احد المساكن .. كانت تصيح بأعلى صوتها يا عسكرى .. وجاء العسكرى . الذى هو انا ، الى باب المسكن يطرقه لكن احدا لم يفتح الباب .

كان صوت المرأة يزداد حشرجة .. حسبت ان هناك جريمة قتل او شروع فى قتل ، ودون اى تفكير قفزت من النافذة الى الداخل .. وجدت رجلا يضرب زوجته ضربا مبرحا فسقتهما الى دائرة الشرطة ، وعلى طول الطريق فى مسيرتنا كانت المرأة تردد فى سمعى ان زوجها كان يشرع فى قتلها .. لكننا حين التقينا فى القسم بالضابط المحقق وحين احست المرأة ان زوجها سيودع الحبس الى ان تجىء النيابة – اذا بها تبكى وتتوسل فى

تركه لها وبين ثنايا هذا التوسل بدأت تظهر استنجادها بى ، وبدأ الزوج يتهمنى بأننى اقتحمت مسكنهما الشرعى بغير موجب قانونى .. وكان من الممكن ان اتحول من حارس الى متهم لولا ان الضابط كان ذكيا ، فانهى كل هذه المشاكل صلحا .

مذكرات

جرسون

كانت الذ لذاتى وانا على اعتاب سن المراهقة فى سنة ١٩١٥ هى الهروب من المدرسة ٠٠ كنت اذ ذاك تلميذا من تلاميذ السنة الرابعة فى التعليم الاولى ، وهو التعليم الذى كان يلتحق به غير القادرين على مصروفات التعليم الابتدائى قديمـــا ٠ وكانت المراحل التالية له هى مدارس المعلمين الاوليـــة او مدارس الصـناعات او المدرسـة الاولية الراقيـة التى كانت تخرج فئة معينة من صغار الموظفين ٠٠ ولم اكن قبـل هـذه الفترة اعرف لذة الهروب من المدرسة ، ولا افكر فيها لكننى ذات يوم مازلت اذكره ، وهو يوم ١٨ فبراير سنة ١٩١٥ ، سمعت إن هناك شيئا اسمه « الاضراب » اى الامتناع عن دخول المدرسة ٠ وقد قام به يومئذ طلبة الحقوق احتجاجاً على زيارة السلطان حسين لمدرستهم ٠٠ وكان طلبة الحقوق يحتجون فى الواقع على قبول السلطان حسين منصبه الملكى من يد سلطات الاحتلال البريطانى ٠٠ وكانت مدرسة الحقوق قريبـــة من دارنا بحى عابدين ٠ فرأيت طلاب الحقوق وهم يغادرون دار مدرستهم وكنا نحن تلاميذ التعليم الاولى ننظر الى طلبـــة الحقوق وكأنهم عمالقة ٠ ومادام العمالقة يبرحـون معهدهم ، فلماذا لا أقلدهم ، لكنهم كانوا مضربين لسبب سياسى فوق ادراكى ٠٠ أما أنا فقد أضربت أو هربت من المدرســـة لالعب « البلى » مع ابناء حارتنا ٠٠ !

وبينما كنا نمارس هذه اللعبة فى حارتنا ذات صباح ـ اذا بقوة من الجيش البريطانى تحيط بنا ، وتنتقى منا من صلب عودهم وأنا منهم ، لتأخذنا بالقـــوة الى احد المعســـكرات البريطانية فى القلعة كى نشتغل بغسل الاطباق للجنود دون ان يكون فى استطاعة أحد ان يعترض على هذا الاجراء ٠٠ !

وأيا كانت الانفعالات التى انتابتنى يومئـــذ ـ نقد كان يومئذ يوما تقرر فيه مصيرى ، اذ ألفت هـذا العمل واخـذت اتقدم فيه تقدما لفت الى رئيس العمل وكان ارمنيا ٠٠ فما ان انتهت الحرب العالمية الاولى وأخلى طرفنا من هذه « الوظيفة » حتى فاتحني رئيسى الارمنى بانه قد جمع « قرشين » سيفتح بهما مقهى فى وسط المدينة ، وانه اختارنى فيمن اختارهم كى اعمل معه فى « وظيفة » جرسون ٠

ورحبت بالفكرة ، ولم يكن يضايقنى فى عملى الجديد الا اسم هذه الوظيفة بعد ان علمت من زملائى الاجانب ان كلمة (جرسون) تتساوى بالعربيه مع كلمة «خادم صبى» ٠٠ لكننى بمضى الوقت أحببت هذا الاسم بعد ان ظهرت فى العشرينات موضة جديدة فى تصفيف شعور الشبان ، وكان اسم هذه الموضة « الاجرسون » ٠

كانت هذه الوظيفة هى قدرى المكتوب ٠٠ لكن قدرى الاكبر كان فى ان عملى قد مكننى من مشاهدة اشياء واشخاص لم تكن تتوافر لى لو لم اكن جرسونا ٠٠ وكانت اولى مشاهداتى فى مارس سنة ١٩١٩ ٠

فى مارس سنة ١٩١٩ قامت اولى مظاهرات الثورة ٠٠ وذات يوم كانت هناك مظاهرة ضخمة قد هاجمتها القـوات البريطانية بالمدافع الرشاشة ٠٠ اخذتنى حميتى الوطنية ، فاشرت على المتظاهرين بأن يدخلوا مقهانا ٠٠ وما ان دخل الكثير منهم حتى اغلقت ابواب المقهى الى ان ابتعدت القوات البريطانية عن هذا الطريق ٠٠ وبهذه الحركة نجا كثيرون من رصاص المعتدين ، لكننى شخصيا لم أنج ٠٠ !

فبعد ان هدأت الحال ، وانصرف الجميع جاءنى صـاحب المقهى الارمنى ، وسألنى : بأمر من عملت ما عملت ؟ ٠٠ وبعد مشادة بينى وبينه فصلنى ٠٠ لقد كان فى مصر اذ ذاك فريق من الارمن ـ ومنهم صاحب هذا المقهى ـ يشعرون بأنهـم مضيعون بعد ان ضاعت ارضهم فى ارمنيا بسبب الحـرب ،

فلجأ الكثير منهم الى السلطات البريطانية لمعاونتها ضـــد المواطنين نظير المكافآت السخية التى كانت تدفع لهم ٠

ومع أن كل الأرمن فى مصر لم يكونوا كذلك الا أن بعضهم ذهب الى درجة اطلاق الرصاص من نوافذ مســـاكنهم على المتظاهرين ٠٠ وقد دفعوا ثمن هذه الفعلة حياتهم على ايدى المتظاهرين الذين حرقوا بيوت هذا البعض من الارمن بمن فيها ٠٠ وكان من بينهم يوما صاحب المقهى الذى فصلنى ٠٠ وهكذا آمنت منذ نشأت بأن الله لايفلت أحدا من العقاب ٠

عملت بعد ذلك جرسونا فى مقهى رجل اجريجى ، اى يونانى ٠ وكان اليونانيون ــ اقصد اغلبيتهم وليسوا كلهم ــ يتعاطفون مع الشبان الثائرين ٠٠ فلم يكن صاحب هذا المقهى يعترض على أى تصرف من تصرفاتى ٠

وكان مقهى هذا الرجل بالصدفة ، ملتقى بعض الشباب الثائرين ٠٠ كانوا يتظاهرون بأنهم يلعبون الورق او النرد او الدمينـــو ، بينما هم يضـــعون خطط المظـــاهرات أو خطط اصطياد بعض جنود الاحتلال ٠٠ اندمجت فيهم ٠٠ وكانت وظيفتى فى تنظيمهم ان ابعد عن المائدة التى يجلسون اليها الزبائن الاخرين ٠

وذات يوم جاء زبون جديد ٠٠ واصر على ان يجلس الى المائدة الملاصقة لاصحابنا ، فأدركت انه جاسوس ، ونبهت اليه المجموعة ٠٠ لكنهم حينما حاولوا الانصراف اعترض هذا (الزبون) طريقهم ٠ وافتعل مشادة معهم ، وكانت هـــذه المشادة كلمة السر بينه وبين رجال البوليس للقبض عليهم ، فتدخلت بينه وبينهم تدخلا جعلـــه ينصرف بكليته الى كى يضربنى ، فدخلت معه فى مباراة بالكراسى اعمت عينيه عنهم حتى فروا ٠٠ وقبض على واضـــطر صـــاحب المقهى ، تحت الضغط الشديد ، ان يفصلنى ٠

مذكرات

شاعر

كنا نلعب معا ٠٠ لكننا كبرنا ٠٠ هى تجـاوزت الثالثة عشرة ، وانا قد تجاوزت الخامسة عشرة من العمر ٠٠ وكانت هناك أغنية شعبية تقول « البنت بنت تلاتاشر والوش قمـر ازبعتاشر » اشارة الى ان هذه السن بالنسبة لبنات الماضى هى بداية مرحلة التفكير فى الحب والزواج ، بينما كانت بالنسبة للاولاد بداية مرحلة الذهاب الى دور السينما دون مصاحبة الاخوة الكبار او الآباء ٠

وبين اعتزال البنات لملاعب الصبية ومشاهدة الافـلام ذات القصص الغرامية ٠٠ بين اخيلة العواطف الحارة السـاذجة والحرمان كانت تتولد ملكة الشعر عند الصبيان الذين كنت واحدا منهم ٠

لقـد قرأت فى هـذه المرحلة ديوان الشـاعر الغزلى الجرىء عمر بن أبى ربيعة ٠٠ لكنه لم يشف كل غليلى ٠٠ وفكرت فى امير الشعراء المعاصر أحمد شوقى الذى كنا نستمع الى اغانيه على لسان الموسيقى النابغة محمد عبد الوهاب ٠٠

كيف كان هذا الشاعر المعاصر يقول الشـعر ؟ كيف كان يحيا ، وكيف كان حاله ؟

ألحت على هذه الاسئلة وانا فى ريعان الصبا ٠٠ لكن كيف اللقاء بشوقى ، هو رجل عظيم لا يرتاد المحافل التى لم تصل اليها قدماى اذ ذاك ٠٠ ثم حانت الفرصة ٠٠ كـان شـوقى يفكر فى اقامه حفلة تكريم لمحمد عبد الوهـاب وكان يريد الا يظهر بأنه هو مصدر هذه الفكرة وحده ٠٠ كان يريد ان يشترك فى هذه الفكرة ابناء الجيل الصـاعد ٠٠ وذات يوم فاتحنى صديق أكبر منى قليلا فى هذا الامر ٠٠ واصطحبنى الى دار شوقى على ضفاف النيل بالجيزة ، وكانت تسمى كرمة ابن هانى ٠

دخلت كرمة ابن هانى .. كانت قصرا .. ولم يكن لى سابق عهد بدخول القصور ، لكننى ما كدت التقى بشوقى فى رفته الشاعريه حتى ذهبت عنى موجة الخجل .. وجلست، انا الصبى الصغير ، امام شوقى العظيم اتحدث اليه كما يتحدث الصديقان .

سألته : ما هذا الكتاب الضخم الذى تقرؤه ؟ .. قال انه كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى .. وكان من رأى شوقى أن من لم يقرأ كتاب الاغانى ليس جديرا بأن يكون شاعرا أو اديبا . سألته بعد ان اكدلى انه قرأ هذا الكتاب سبع مرات ، وماذا انت صانع بهذا التكرار فى القراءة ؟ فقال اننى أضع خطوطا ، كما ترى ، تحت ابيات الشعر التى تعجبنى .

سألته : وهل انت بحاجة الى مراجعة هذه الابيات ؟

قال نعم .. ان تكوين الشاعرية وتنميتها يرجع فيما يرجع الى ان تكون للشاعر مختارات من شعر غيره سواء كانوا قدامى او محدثين .. سواء كانوا عربا او اوربيين .

سألته : واى شاعر من شعراء العصر قد تفوق فى هذه المختارات ؟ . قال : انه محمود سامى البارودى . ان مختارات البارودى تملأ ثلاثة مجلدات مطبوعة .

وخرجت من عند شوقى ابحث عن (مختارات البارودى) لكن من اين يصل مثلى الى ثمن هذه المجلدات الثلاثة الضخمة .. لكنى كنت اعرف الطريق جيدا الى دار الكتب .. وفى قاعة المطالعة بدار الكتب قرأت (مختارات البارودى) ونقلت منها فى بضعة ايام عدة كراريس .. واصبحت هذه الكراسات زادى من الشعر .. ولست بحاجة الى القول ان مختاراتى فى هذه السن كانت كلها من الشعر العاطفى الوهاج .

مولد شاعر

وفجأة وانا اراجع مختاراتى من مختارات البارودى وجدتنى انظم الشعر .. هكذا بلا دراسة لفن العروض .. وفجأة عثرت عند بعض الوراقين على كتاب فى هذا الفن .. فن العروض .. وقد اشتريته بثلاثة قروش واصبحت شاعرا وكان أول بيت نظمته هو .

عجبا أقول الشعر قبل شبابي
ما كان قول الشعر ضمن حسابي

ولست بحاجة الى القول بأن الابيات التاليـة كانت في الغزل وقد اختتمت هذه القصيدة الساذجة بقولي :

فلئن اصاب الشعر منهم مرتضى
فالفضل كل الفضل للاحباب

وجرفتني الاحداث التي جعلت من شباب جيلي مجموعة من المجاهدين في سبيل الوطن والحرية ·· فنسيت الحب وشعره وبدأت أحاول كتابة نشيد وطني قلت فيه :

أيها الوحي والالهام يا بلدي
أيها المجد والاكرام يا بلدي
أيها الحب والاحلام يا بلدي
أيها الخير والانعام يا بلدي

ولم تكن سني اذ ذاك تسمح لي بنشر اشعاري ·· فكنت اكتفي بتلاوة قصائدي على رفاق صباي ·· كانوا يعجبون بما اقول الا كامل الشناوي ·· فقد كان من رأيه انني اخدعهم وانسب اشعار الاخرين لشخصي ·· غاظتني هذه الملاحظة من كامل الشناوي ·· وكنت اعلم انه مفتون بشعر شوقي فأوهمته انني عثرت على ثلاثة ابيات لم يسبق نشرها من شعر شوقي ثم تلوتها عليه وهي هذه الابيات :

لك اليوم اعزازي واعجابي
فأنت اليوم قلب رجولتي وشبابي
لما عدلت عن التشبب بالهوى
ونبذت كل بقية لتصابي
أصبحت قلبا لائقا بكرامتي
وشبهاتي وفصول كل كتابي

وصفق الفتى الشناوي طربا واخذ في تحليل هذه الابيات وما فيها من بلاغات ·· فلما فرغ من ثنائه عليها ـ قلت له : وما قولك الان وهذه الابيات من اشعاري ؟

رفض الشناوي ان يصدقني ·· فحزنت واقسمت الا اقول الشعر بعد ذلك ابدا ·

مذكرات

فنانة

انا اسمى فتحيه ، ومن مواليد سنة ١٩١٩ ٠٠ لا احد يعلم هذا التاريخ ولا احد يعلم ان ابى كان نجارا ٠٠ نجارا ناجحا ذا مكاسب كثيرة ومكاسبه هى التى اهلته لان يقترن بامى ٠٠ ان امى لم تكن من وسط ارقى من وسط ابى ، لكنها كانت جميلة جدا ، وقد سمعت من احاديث جدتى ان جمال امى قد صرع الكثيرين ٠٠ ثم صرع ابى ، فالجمال يريد المال ، والازمة الاقتصادية الطاحنة التى اجتاحت العالم سنة ١٩٣٠ قد اطاحت بدخول ابى ٠ فاصابته الذبحة ، مات شابا ، وترك امى الجميلة شابة وانا واخوتى اطفالا لم يبلغ احدنا الرابعة عشرة من عمره ٠٠ ولست ادرى من اين كنا نعيش بعد وفاة ابى ٠٠ كل الذى أعلمه ان امى قد انتقلت بنا الى بيت خالتى فى حارة السيدة زينب ٠٠ اما هى فكانت دائماً على سفر ٠٠ وفيما بعد عرفت انها كانت تسافر الى الصعيد ٠٠ فهناك محام لامع احبها ٠٠ وبعد مرحلة طويلة من الحب تزوجها ٠

كان الرجل اول امره كريما ، فقد كان فى مرحلة الحب لامى والمرحلة الاولى من زواجها يرعانا ٠٠ يرعانا بارسال شىء من النقود الى خالتى التى كانت تأوينا ٠٠ ثم علمت فيما بعد ان هذا الكرم كان يرجع الى رواج اعماله فى بداية الثلاثينيات فمع الازمة الاقتصادية التى مست اصحاب الاطيان كثرت القضايا ، وكان المحامى يشارك صاحب الدعوى عند الحكم له فيما يخصه ٠٠ ثم مالت به الايام ، فقلت معوناته لنا ٠٠ قلت هذه المعونات فى الوقت الذى كانت امى قد احبته فعلا بعد ان كانت أول الامر تمثل دور المحبة لكى تعيش ٠٠ وعرض عليها فى ازمته ان يطلقها فأبت ، حبا له ، ونسيانا لنا ٠٠ لقد كان هناك من يتطلع بشوق للزواج منها والانفاق

عليها ٠٠ لكنها فضلت ان تستأنف قصة حبها مع المحامى على المال الذى كانت تسعى اليه من قبل ٠٠ ربما كان هـذا ذكاء منها ٠٠ فهى تعلم ان المتطلعين اليها كانوا طامعين فى جمالها ، وانها قد توسطت مراحل العمر التى يتحول بعدها جمال المرأة الى شىء من الجمود الذى لايجتذب الا من كان فى قلبه وفاء للماضى ٠

حب ودموع

كانت أمى الجميلة تأتى اول كل شهر لزيارتنا بمنزل خالتى ٠ فتعطيها ما يكفى حاجتنا ٠٠ وتقضى بيننا يومين فنستمتع فيهما بدفء احضانها وحنانها ، ثم تعود الى الصعيد ٠٠ كان هذا يحدث بانتظام فى المرحلة الاولى ٠٠ اما فى المرحلة الثانية فقد بدأت تستعيض فى بعض الشهور عن الحضور بالخطابات المزودة ببعض الجنيهات ٠٠ ثم بدأت هذه الخطابات تقل من جانبها ، وتكثر من جانبنا ٠٠ لم نكن نحن الصغار نشعر بعذرها ٠٠ لكننا كنا نشعر فقط بالحنين اليها ٠ وقد حسبنا سذاجة منا ، ان اسلوب خطاباتنا اسلوب لايبعث فى قلبها حرارة الشوق ٠٠ وكان بين الصبية الذين نلاعبهم من جيراننا تلميذ اشتهر بمهارته فى مادة « الانشا » فلجأنا اليه ٠٠ لجأنا الى « محمود » ابن جارتنا التى كانت تحنو علينا ، كى نستكتبه الخطابات الحارة الى أمنا ٠

كان محمود هو صديق طفولتى ولهذا وكل اخوتى الى مهمة رجائه فى القيام بهذه المهمة ٠٠ كنت اذهب الى جارتنا ، أم محمود ، فأقبلها وأعاونها فى مهام بيتها قليلا ، ثم استأذنها فى ان اقطع على محمود خلوته كى أملى عليه فكرة خطاب يصوغها الى امى ٠٠ وحين انفرد بمحمود لهذا الغرض لا أجد شيئا اقوله له الا الدموع ٠٠ لقد اكتشفت فيما بعد ان هذه الدموع لم تكن دموع الحنين لامى فقط ، بل ودموع الحنين الى عطف محمود أيضا ٠

كان محمود فتى جميلا ، واذا جلس ليكتب يزداد فى ناظرى جمالا .. كنت اجلس قريبة منه وهو يكتب كى امتع ناظرى بما كان يبدو عليه من مخايل الالهام وهو يكتب الخطاب .. وذات يوم وأنا أتابع حركة يده الجميلة فى الكتابة وجدتنى من حيث لا ادرى اتابع انفاسه بانفاسى .. لقد كان وجهى قد التصق بوجهه من حيث لا ادرى ، واحسست بشىء جديد غريب يجتاح وجدانى كله حين رفع عينيه الى وكأن فيهما علامة استفهام .. ثم وضع القلم ، وجلسنا صامتين .. ويبدو ان جلستنا قد طالت ، فقد نادت أمه على .. فهرعت اليها ، وأنا أهمس فى أذنه : « نبقى نكمل كلامنا المغرب فى حوش المنزل الجوانى جنب البئر المهجورة » .. هذا مع ملاحظة اننا لم نكن نتكلم قط .. لم اتنبه الى اننا لم نكن نتكلم الا بعد ان عدت الى شقتنا ، شقة خالتى . فهل يا ترى قد فهم محمود من همستى شيئا .. وهل يا ترى سيحضر عند الغروب فى المكان والموعد المضروب ؟

على أية حال لقد ذهبت .. لقد وجدته هناك .. وكان لقاء .. وكان حب بين طفلين لازلت اذكر سذاجته وحلاوته رغم مرور عشرات السنين .

من زوجة سجينة
الى منلــوجست

تعدد لقائى بمحمود الى جانب البئر المهجورة .. وكانت البراءة ثالثتنا فى هذه اللقاءات .. لكن الخبر قد وصل الى امى فى الصعيد .. لست ادرى كيف ؟ فجاءت ذات يوم بحجة انها تريد أن تحتفل بعيد ميلادى الرابع عشر .. وفى حفلة عيد ميلادى قدمت امى الى شابا .. شابا ضخما من العمال ، وقالت لى : هذا عريسك يافتحية .. وقبل أن أناقشها كان المأذون قد جاء .. وعلى شموع « التورتة » احتفلوا بعقد قرانى .

وكانت « الدخلة » فى الشهر التالى ٠٠ ولم يكد ينقضى شهر العسل - شهر العسل بالنسبة للعريس وليس لى - حتى لاحظت ان «زوجى» ينظر الى عينى بضراوة فاذا لاحظ فيهما أى أثر للدموع ضربنى ٠٠ ولم يكتف بوجبة الضرب التى اصبحت نظامه اليومى ٠٠ بل انه حين كان ينصرف الى عمله يغلق الأبواب بالمفاتيح ٠

واحسست اننى سجينة ٠٠ وككل سجين مظلوم فكرت فى الفرار ٠٠ لكن كيف ؟

لقد كان الشخص الوحيد المسموح بزيارته لنا هو شقيقى الصغير ، وكان شقيقى الصغير هو الوحيد ، الذى يشعر بنفس شعورى للكارثة التى أعيش فيها ٠٠ لقد كان الاهمال قد علمه الهروب من المدرسة وكانت أمى كما سلمتنى لهذا الزوج القاسى ، قد سلمته الى صاحب ورشة نجارة من زملاء المرحوم ابى ٠٠ ولم يكن صاحب هذه الورشة أقل قسوة من زوجى ٠

اتفقت مع شقيقى ، سرا على الهرب ٠٠ وهربنا ٠٠ لكن كيف نعيش ؟

كان شقيقى الصغير فى شطحات يأسه قد تعرف برجل يؤلف فرقة ملاهى صغيرة متنقلة بين القرى ، فاتفق معه شقيقى على ان نلتحق كلانا بهذه الفرقة ٠٠ وبدأ تدريبنا على القاء الديالوجات ، وكما نجحنا فى اخفاء شخصيتنا بين القرى البعيدة عن القاهرة ، نجحنا فى القاء الديالوجات أيضا حتى لقد زاد أجر كل منا فى اليوم من عشرة قروش الى عشرين قرشا ٠

كنا نرى الاموال تتدفق على صاحب الفرقة نتيجة عملنا دون ان يكون لنا فيها نصيب غير هذه القروش ٠

وذات يوم جاءنى شقيقى الصغير مهللا يقول : لقد وجدت لنا عملا فى القاهرة نظير أربعين قرشا فى اليوم ٠٠ لا لكلينا ، بل لكل منا ٠

قلت له : القاهرة ؟ .. انسيت ان هنـــاك زوجى الذى يقدر على هدم هذا كله باعادتى مقبوضا على الى سجنه . اذهب انت يا حبيبى ودعنى .

لكن شقيقى ابتسم وهـــو يقول : اطمئنى يا فتحية .. فزوجك قد دخل السجن محـــكوما عليه بالمؤبد . ولك ان تظهرى وان تطلبى الطلاق علنا .. وقد كان .

فى مدرسة بديعة

وعدت « طليقة » بكل معانيها الى القاهرة .. وعملنا معا ، انا وشقيقى فى صالة السيدة بديعة مصابنى . لكن عمـــل كل منا كان مستقلا عن الاخر .

لقد كانت صالة بديعه مصابنى مدرسة لامثالى ، ومنهـــا تخرجت كواحدة من منولوجست الدرجة الاولى .. وارتفـــع أجرى من القروش الى الجنيهات .

وهكذا تغير وضعى الاجتماعى . فقد سكنت فى شـــقة بمفردى .. ومع من اسكن وقد تبرأ منى الاهل جميعا ؟ .. حتى شقيقى الصغير الذى كبر أصبح يشعر بالحســـد من نجاحى .. فانفصل عنى .

وفى شقتى تعرفت على كثير من الزميلات ، ومن الزميـــلات تعرفت على كثير من الاصدقاء .. ومن الصـــداقات جمعت نقودا اكثر بكثير من كل مدخرات أخرى فى الصالة .

مذكرات

مقامرة

.. لم تتم فرحتى بالحصول على الشهادة الابتدائيـــة فى سنة ١٩١٨ فقد قرر ابى ان يلحقنى بالقسم الداخلى فى مدرسة حلوان الثانوية للبنات ، مع اننا كنا نسكن فى حلوان . لكن ابى يقول ان هذا اكثر أمنا من ان تروح البنت وتجىء كل يوم الى المدرسة بمفردها . لكننى كنت اعلم ان وراء هذا القول شيئا آخر .. هذا الشىء هو مشيئة زوجة أبى التى لم تعد تطيق وجودى فى بيتها بعد ان بدأت صورة وجهى تســـتدير لتأخذ ملامح المرحومة أمى .

كان القسم الداخلى بالنسبة لى سجنا .. على الاقل لاننى لم اجد به لاول وهلة أية زميلة او صديقة من زميـــــلاتى السابقات فى مرحلة التعليم الابتدائى .

وذات ليلة ســـألتنى جارتى فى « العنبر » بعـــد ان نام سائر الزميلات : لماذا انت مســــتيقظة ؟ .. قلت لها لست ادرى ، فأجابت : اما انا فأدرى لماذا لا أنام .. اننى افكر فى أبى وأمى اللذين تفصل بينى وبينهما بلاد وبلاد .. وخجلت ان اقول لها ان ابى فى منزله على بعد خطوات من المدرسة ، فسكت ، وقطعت هى سكوتى بقولها : ان معى « كوتشينة » فما رأيك فى أن نتلهى بها ساعة حتى يقبل علينا النوم ؟ .
وقبلت هذا العرض بلا تردد ، وجلسنا نلعب ، هى تكسب وأنا أخسر .. كنت اخسر لان عقلى قد سرح بى الى بيتنا حيث كنت استمتع فى كل مساء بتلصص النظرات الى الباشوات والبكوات الذين كانوا يسهرون مع أبى فى لعب الورق وامامهم اكوام صغيرة من النقود .

ومع أننى كنت الاعب زميلتى بغير نقود ، الا ان احســاسى بالخسارة كان احساسا موجعا . كان احساسا مقترنا باحساس

الحرمان من البيت . اجتهدت فى دروسى حتى غدوت اول فرقتى لكننى لم أجد أحدا يهنئنى بهذا النجاح .

الطريق الى الخبز

وجاءت موجة الاضرابات فى سنه ١٩١٩ . وكنت اقابلها وانا فى السنة الاولى بخوف شديد ، لكننى حين انتقلت الى السنة الثانية وجدتنى من زعيمات الاضراب..وكان الاضراب بالنسبة لطالبات القسم الداخلى بمثـــابة « الافراج » الذى لايعلم به الاهل .

كان الاضراب يسمح لى بالخروج من المدرسة والرجـــوع اليها دون علم من أحد .. ورغم هذا فقد كنت حريصة على العودة الى المدرسة بعد كل مظاهرة مباشرة .. لكننى ذات يوم فى احدى المظاهرات التقيت بحسن .

كان حسن طالبا عصاميا من طلبه الدراسات العليا .. كان مثلى قد حرم مبكرا من عطف الابوين ، لكنه كان منـــذ نشأته رجلا ، وقد بلغ من عصاميته انه قد اشتغل بالصحافة الى جانب دراسته .

وحين التقيت بحسن احسست باحساس الغريق الذى يتعلق بأى شىء .. لكن حسن كان سيرجع الى عمله عقب المظاهرة ، فكيف اجرؤ على ان اقــول له اننى اريد ان اراه ثانية ؟ .. لقد نبتت فى رأسى فكرة .. فكرة دعوته، بوصفه صحفيا ، ليحضر حفل المدرسة الذى كنت سأشترك فيــــه بالعزف والتمثيل .

وفى نهاية الحفله هنأنى حسن ، ودعانى الى زيارته بدار الجريدة التى يعمل بها كى يكتب كلمة عنى .. وقد فعلت .. وكان نشر هذه الكلمة سببا تذرعت به زوجة أبى للتبرؤ منى . وكان معنى هذا التبرؤ الا يرسل أبى الى ما احتـــاجه من نفقات ومصروفات مدرسية .

طردتنى المدرسة .. ومع ان منزل ابى على بعد خطوات الا اننى لم أجرؤ على الذهاب اليه .. فالى اين اذهب ؟ .. لم يكن امامى غير طريق واحد ، هو الطريق الى حسن .

كان حسن نفسه يكابد نفقـــات العيش فعرض على ان يقدمنى الى فنان كبير لاعمل معه .

لكننى ما كدت انفرد بهذا الفنان فى اليوم التالى حتى بدأ يغازلنى ، وهو لايعلم ان قلبى مع حسن .. فلما قلت لـــه أريد خبزا لا حبا .. قال لى : ان هذا هو الطريق الى الخبز .

سيارة صاحب المعالى

استخدمت دهائى كى اشجع الفنان الكبير على معاونتى دون ان يصل الى غايته المدمرة .. وصار الفنـــان الكبير يصطحبنى معه فى بعض سهراته .. وكانت كلها سهرات للعب الورق .. وصرت مقامرة .

وذات مساء من صيف سنة ١٩٤٤ كنت انزل بفنـــدق وندسور باسكندرية .. ودخلت قاعة اللعب فوجـــدت فى صدرها اشهر باشا فى هذا الميدان .. انه لم يكن قد دخـل فى حاشيتى بعد .. لقد كان رجلا مشهورا بكثرة الصديقات، فكيف ألفت نظره الى ؟

دعانى احد اعضاء المائدة للمشـــاركة فى اللعب فاعتذرت بأننى مفلسة وبى رغبة شديدة لعدم الســـهر .. ألح على الباشا الشهير فى البقاء معهم ، لكننى اعتذرت ، وانصرفت الى غرفتى .. وعز على « صاحب المعالى » ان امتنع عليـــه ، فاذا به يلحق بى خلسة ويعرض على مائة جنيه بمثابة سلفة فالقيت المائة جنيه عـلى الارض .. وبالطبع لم يتنازل الباشا فينحنى ليجمعها .. فاكتفى بأن واعدنى على اللقاء فى الليلة التاليه وانصرف .

فى الليلة التالية تعمدت ان أوزع الجنيهات أمامه على خـدم الفندق ،وجلسنا لنلعب ، فاذا بالباشا الشهير يتعمد الخسارة

لنفسه والربح لى حتى بلغ مجموع ربحى فى هذه الليلة مائتى جنيه ·· وفى نهاية السهرة مال على أذنى ليقول لى : هل المبلغ الذى ربحته يكفى لما أنت بحاجة اليه ·

وزيادة فى الضغط عليه قلت : كلا ·· اننى ذاهبة الان الى سيدى بشر ، لأحضر ألف جنيه ·· قال لى : لكن كيف تسيرين فى الطريق والسير ممنوع بسبب الغارات ·· وتظاهرت بالاسى ، فاذا به يقول : لا تحملى هما ·· اركبى سيارتى الرسمية فان أحدا لا يستطيع منع هذه السيارة من المرور ·

تبت على يديه

اشتهرت قصة ركوبى السيارة الرسمية فى هذه الليلة ·· فلما عدت الى القاهرة وجدت المنافسين السياسيين للباشا الشهير يهيئون الاسباب لكى « يأخذونى » منه ظنا منهم اننى قد أحببته ··

تحركت فى نفسى عوامل الثأر القديم لطردى من بيت أبى ولطردى من المدرسة ولمقابلة الفنان الكبير لى لقاء وجبة طعام فاذا بى اشترط لاتمام هذه « الصفقة » السياسية التى اصبحت أنا جزءا منها ان يحضروا الى بيتى ولا أذهب أنا الى مكان اى منهم ·· لقد سرهم هذا الشرط ، لكننى ألحقته بشرط اكثر أهمية وهو أن يكون معهم الباشا الكبير رئيسهم ·

وعبثا حاولوا ان يقولوا لى انه رجل محافظ ·· متزمت ·· متدين مريض متكبر فلقد صممت على حضوره والا فلا ·
ولست أدرى كيف استطاعوا ان يقنعوا صاحبهم الاكبر بالحضور الى بيتى ·· لقد كانت كل الصفات التى وصفوه بها صحيحة ·

وبعد ان استقر بهم المقام فى صالون منزلى قدمت لهم الكؤوس ·· ولم يكن يعنينى أحد غير رئيسهم ·· **كانت عينى** عليه دائما ·· فاذا به يرفع الكأس قائلا « فى صحتك يامدام» ثم يضعها دون أن تلمسها شفتاه ·· وبعد هذه التحية بدأنا

اللعب فاذا بالرجل الكبير يضع النقود على المائدة ثم لا يمسك الورق .. حتى بلغ مجموع ما تركه على المائدة خمسمائة جنيه . والمعروف فى تقاليد اللعب ان نقود المائدة لمن يملك المائدة ، وأنا التى أملكها .

وفى نهاية السهرة وقف الرجل الكبير محييـــا يقول لى : « كانت سهرة ممتعة يامدام .. انا متشكر جدا على ضيافتك » وخرج ولم يستطيعوا البقاء بعده ، أما أنا فلم أستطع النوم فى هذه الليلة .

لقد بت أفكر فى هذا الرجل الذى وجد أمامه كل الفرص لكى يعمل ما يعمله أقرانه ، لكنه لم يفعل . فلا يده ضغطت على يدى ، ولا شفته لامست كأسه ، ولا هو حاول أن يسترد ولو بعض ما وضعه على المائدة من النقود .. ولا هو حاول من أى طرف خفى أن يشعرنى بأنه قد جاء ليساعدنى .

اذا كان هذا شأن الرجل الذى عاش حياته فى حرمان من فرط التقاليد ـ فكيف ـ بى أنا التى ذقت كل ما فى الحياة من ألوان ؟ ..

لقد وجـــدتنى فى الصباح أطلب موعدا لمقابلته .. وما أن رأيته حتى اختطفت قبلة من يده وانا أقول له : لقد تبت على يدك .. انك قد عوضتنى عن حنان أبى .

قال لى وعلى شفتيه ابتسامة خجلى : وماذا ســـتعملين فى أيامك الاتية ؟ ..

قلت : سأفتتح فندقا شريفا للسائحين أخدم به بلدى .

مذكرات

عبيد

كانت لعمى الأكبر كلمة مأثورة هى قوله « بنى آدم طير من غير جناح » .. كان عمى الاكبر يردد هذه الكلمة عادة عقب رحلة يوم من أيام العيد .. كان برنامجه فى هـذا اليوم أن يصلى الفجر بمسجد السيدة زينب ، ثم يستقل أول ترام الى نهاية العباسية بعد ان يكون قد تناول وجبة خفيفة من الفطائر عند فطاطرى الحى الشهير .. وعند نهاية خط ترام العباسية يستقل « الوزيز » وهو الاسم الذى كان يطلق فى العشرينات على الترام « الأبيـض » الذى يصـل بين العباســية ومصر الجديدة ، والذى استبدل فيما بعد بخطوط الأتوبيس والمترو .

وفى مصر الجديدة ، وكان آخرها ميدان الاسماعيلية فقط ، كان عمى الأكبر يزور بيتا من بيوت احد اشقائه حيث كان يحمل معه «اللعب» التى يبتاعهـا من باعة القفز عـلى قطارات الترام ، يهديها الى صغار شقيقه ، ثم ينفحهم « العيـدية » ، وكانت دائما من القرشينات فى كيس صـــغير من الحـرير الشفاف .

وبعد جلسة عائلية مشتركة ينتقـــل كبار رجال الاسرة لزيارة الجيران ، ثم يعودون لتناول الغداء عـــلى مائدة عمى الأخر .. وعقب الغداء يســتقل عمى الاكبر « الوزيز » مرة اخرى عائدا الى العباسية لزيارة شقيق آخر يتبع مع صـغاره نفس الأسلوب ثم يستقل الترام ، على مواصلتين ، الى ميدان الحسين لصلاة العشاء بالمسجد الحسينى .. ثم يستقل من حى الحسين عربه «سوارس» وهى الأتوبيس الذى تجره البغال ، الى والده بحى السيدة زينب ليردد « حكمته » التى يقول فيها

« بنى آدم طير من غير جناح » لانه صلى الصبح فى المسجد الزينبى وصلى العشاء فى المسجد الحسينى ، وزار بين الصلاتين اخويه فى مصر الجديدة والعباسية !!

من حلب الى اثينا

تذكرت «حكمة» عمى الأكبر التى كنت اسمعها فى طفولتى دون ان ادرك كل معناها ذات يوم من ايام العيـــد فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ٠٠ كان هذا سنة ١٩٤٧ حين اتفقت مع بعض الصحاب على قضاء ايام العيد خارج الحدود ٠

يومئذ ركبنا طائرة الصباح الباكر من مطار الماظة الى بيروت، فوصلناها بعد ساعة ٠٠ وكنا فى بيروت على موعد مع بعض رفاق الصبا لتناول الغداء ٠٠ وعقب الغداء ركبنا السيارة الى دمشق ، فتناولنا فى دمشق طعام العشاء ، وفى الصباح التالى اتجهنا مبكرين الى ميناء حلب ، حيث ركبنا الباخرة التى أقلتنا الى قبرص ، فوصلناها ظهرا لتناول غدائنا مع بعض الصحاب ٠ وبتنا ليلتنا فى قبرص ٠٠ وفى الصباح الباكر ركبنا الطائرة الى أثينا ٠٠ وفى الطائرة تناولنا معا افطارنا ٠٠ اما الغداء فقد تناولناه فى مدينة كافالا ، وهو الاســم اليونانى لمدينـة قوله التى كانت فيما مضى من مـدن تركيا ٠٠ وكان لنا فى كافالا أقرباء ٠

وطاف بنا أقرباؤنا فى كفالا بمزارع التبغ ومصانعه ، وهى المصانع التى كان يعمل بها صبى اسمه محمدعلى ٠٠ صبى مغامر استطاع ان يقتنص مركز الامارة والحـــكم فى مصر مع بداية القرن التاسع عشر ٠

قطعة من الشرق فى أوروبا

ورغبت ان أزور الدار التى تربى فيها هـذا المغامـر الذى اشتهر فيما بعـد بأنه « رأس الأسرة العـلوية الملـكية » فى مصر ٠

دار ريفية كأى دار لأى شيخ بلد فى قرانا المصرية ٠ الدار تطل على البحـر الذى يفصـل بين اوربا وبين عـالم الشرق الأوسط ٠٠ دار من طابق ارضى يعلوه طابق آخر للحريم ٠٠ وفى طابق الحريم رأينا الدواليب المحفورة بين حيطان الدار كأنها السراديب ٠ وفى الطابق الأسفل ساقية لتصعيد الماء الى سكان الدار ٠٠ وليس فى هذه الدار قضيب حديدى واحد ٠٠ كل نوافذها وأبوابها من الخشب الذى لايعرف الزجاج طريقه ، وحتى مزلاج الباب الكبير كان مزلاجا خشبيا ٠

وعلى الرغم من ان مدينة كافالا ، أو قولة ، قد اصبحت مدينة يونانية ٠ الا ان الطابع التركى القـديم كان لايزال مطبـوعا عليها ٠٠ ولقد لمست هذا الطابع فى مأدبة الغداء التى اقيمت لنا ٠٠ كانت مأدبة يوم من أيام عيـد الأضـحى ٠٠ والناس هناك لاينحرون خراف العيـد فى بيوتهـم ٠ بل فى المطـاعم العـامة ٠

وفى مطعم عام يشبه بعض المطاعم القديمة فى الحى الحسينى، لكنه أكبر حجما اعدت لنا مائدة فى ركن من اركانه الكثيرة ، وعلى المائدة كان خروف العيد ، بكامل هيئتـه ، لـكنه كان محمـرا ٠٠

وعقب الغداء طفنا بالاسواق ٠٠ والاسواق فى مدينة كافالا اليونانية ـ قولة التركية سابقا ـ تشبه بعض أسواق الغورية فى القاهرة ، لكن على نطاق اضيق واصـغر ٠٠ وكان اول مايميزها عن اسواق المدن الاوربية القـديمة ان بها بعـض

العطارة والعطور التى تفوح منها رائحة الشرق ٠٠ لقد أنستنا هذه الأسواق اننا فى بعض حدود اوربا !

وبقدر مانسينا فى أسواق قولة اننا فى بعض حدود اوربا بقدر ماألحت علينا الأخيلة الاوربية فى صباح اليوم التالى ونحن نزور الشاطىء اليونانى الذى أعد للسائحين والسائحات ٠٠ حول نصب تذكارى يسمونه « اله الحب » !

كل الوافدين ٠٠ والوافدات ٠٠ الى نصب هذا الالهالمزعوم من فتية وفتيات آوربا وامريكا فى أحدث أزياء الغرب ، مع التحرر من كثرة الثياب للدفء النسبى الذى يحسون به فى هذا الشاطىء ٠

لقد كان كل عاشقين يبحثان عن سنتيمتر يخلو من الكتابة على هذا النصب ليسجلا عليه اسميهما ٠

ان أسماء العشاق على هذا النصب تعد بالألوف ٠٠ وكان أبرز هذه الأسماء هو الشاعر البريطانى بيرون ٠٠ الشاعر الشاب الجميل الأعرج الذى هاجر من بلاده الى اثينا يتغنى بجمال عشيقته هناك ، ثم صعد هذا التغنى بالحب الى التغنى بالحريه ٠٠ حرية اليونان فى معركتها ضد السيطرة البريطانيه ٠

لقد بلغ من حب بيرون للحرية انه قد خاصم وطنه من أجلها، وجاء الى اليونان ليشارك شبابها فى الدفاع المسلح عن حرية بلادهم !

يا له من مثل حى على وحدة الانسان وحرية الانسان ٠ ٠ ان بيرون قد ضرب بهذا المثل أعلى الامثلة على أن الحرية ذاتها هى وطن الانسان الحر الذى لا يطيق القيد حتى من موطنه الاصلى ٠٠ أين ذهب هذا المثل الآن ؟؟

الدنيا الصغيرة

وفى اليوم التالى ٠٠ وكان آخر ايام عيد الأضحى عدنا الى بلادنا ٠٠ عدنا بالطائرة فى بضع ساعات ٠٠ وحينما وصلنا

مطار المظه تذكرت حكمة عمى الأكبر التى كنت اسمعها فى طفولتى ٠٠ حكمته التى يقول فيها « بنى آدم طير من غير جناح» ٠٠ لكن شتان بين الطرفين ٠٠ الطرف الذى كان عمى الأكبر يردد فيه هذه الحكمة لانه فى يوم واحد قد تنقل بين حى السيدة زينب وحى الحسين مخترقا فيما بينهما ضاحية مصر الجديدة وحى العباسية ٠٠ والظرف الذى عشنا فيه خلال اربعة ايام فقط بين مصر ولبنان وسوريا وقبرص واليونان ٠

ما اصغر الدنيا لو تبصر الانسان ٠٠ لكن اين هذه البصيرة والدنيا تقع احيانا فى ايدى تجار الحروب ، انهم ان تبصروا لخجلوا مما يفعلون بانسانيتهم ٠٠ وما الانسانية الا اخاء ٠ وما اعيادها الا رموزا لهذا الاخاء الذى لابد ان يتحقق يوما ، يغدو فيه تجار الحروب من المخلفات العفنة بين صفحات التاريخ العطرة ٠

مذکرات

لغـــوی

لعن الله هتلر ٠٠ لقد حرمنى من شيء كثير ٠٠ فمنذ اعلان الحرب فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ لم اعد أسمع من جاراتنا احاديثهن العذبة التى كن يتبادلنها من وراء الشبابيك ضحى كل يوم بعد ان ينصرف رجال البيوت الى أعمالهم ٠٠ لقد اصبحت احاديثهن الآن احاديث سياسية بعد ان كنت اسمع منهن ، دون ان استرق السمع ، الى تعليقات طريفة على مختلف رجال « الحته » ٠

ومعنى «الحته» فى اللهجة العامية اى «المنطقة» ٠٠ فمحمد أفندى « اجرود » اى حليق الذقن والشارب بلا ادوات للحلاقة لأن وجهه خال من الشعيرات اصلا ٠٠ وانا فى رايهن ـ وهن لا يعلمن اننى كنت اسمع هذا الراى بأذنى ـ رجل « ادباتى » أى اديب ٠٠ وحسين بك جارنا فى رأيهن رجل « الاتوزكا » أى متمسك بالآداب العثمانية القديمة التى كانت سائدة بين الطبقات المتوسطة ومن فوقها فى بلادنا ٠٠ وجارنا الاستاذ على الأفوكاتو ـ اى المحامى ـ رجل «ايافة» بكسر الألف ٠ أى انه أنيق ٠ والشيخ محمد ساكن «السلاملك» أى الدور الارضى على ناصية الحارة «فاكر نفسه أيم» أى انه يقيم من نفسه قيما على الغير ٠

اين ذهبت هذه اللغة ؟ ٠٠ ألم يكن من واجب مجمع اللغة العربية وقد انشىء منذ بضع سنوات ان يقنن هذه الألفاظ التى نسميها « العامية » ويرد كل كلمة منها الى أصلها العربى أو أصلها الأجنبى ٠٠ فما كان منها ذا نسب الى الفصحى أجاز استعماله لييسر على الاجيال الصاعدة مهمة القراءة والكتابة ؟

ان المجمع كان يستطيع ان يرد على أنصار العامية البحتة

بأنها لهجة متقلبة تتغير بتغير الأجيال .. فهاهى بعض الألفاظ التى كنت اسمعها من جاراتى قبل سنة ١٩٣٩ لم تعد تتردد الآن نادرا . انها تسـتحق ان نقيم لها متحفا لغويا فنسجل فيه لهجات الأجيال المختلفة .. وسأحاول هنا أن اسجل بعض الألفاظ التى عاصرناها فى اواخر حياتها ثم اختفت او كادت .

حـرف الألف

- أتك : ذيل فستان سيدة الطبقة الراقية .
- أجزة : العقاقير التى تباع فى الصيدليات .
- آلاتى : موسيقى
- الفرنكة : متفرنج

حـرف الباء

- برانى : القرش أو الجنيه المزيف
- بريزة : عشرة قروش
- بصاص : جاسوس
- بعافيه : متوعك الصحة
- بكماز : حلاوة طحينية
- بلانه : خادمة حمام السيدات
- بلغة « بضـم الباء » : شىء بين الحـذاء والشـبشب يلبسه لابس الملابس البلدية ولونه أصـفر ، وأصله من فاس بالمغرب .
- بنت ناس : عاهرة
- بنورة : زجاجة خمر صغيرة تتسع لكاسين .
- بورصة : مايسمى الآن « كافيتريا »

حـرف التاء

- ترويقة : طعام الافطار
- تكية « بتشـديد الياء » : فنـدق مجانى لأفراد بعـض الطرق الصوفية
- تيزة : خاله
- تيتة : جدة

حـرف الجيم

- جماعة : زوجة
- جمباز : ألعاب رياضية
- جندرة : مكواة خشب لكى الملابس الداخلية بلا نار

حـرف الحاء

- حبرة : مئزر تلبسه السيدات المحجبات
- حرمه : امرأة
- حلزونة : آتوبيس

حـــرف الخاء

- خدية : مخدة صغيرة
- خشناشة : وصيفة
- خوجه : مدرس
- خض : اللبن الحامض

حرف الدال

- دادة : مربية أطفال
- دربكة : طبلة
- دشمنه : ثورة
- دغف « بضم الدال والغين » : مغفل
- دهليز : ممر داخلى

حرف الراء

- رزة « بضم الراء » : صفعة على القفا
- ركه « بضم الراء » : العلوم الجغرافية القديمة
- رمه « بكسر الراء وتشديد الميم » : جثة هامدة
- رهريط : مفكك

حرف الزاى

- زقاق : حارة ضيقة مسدودة
- زلعكة : قدر لتخزين المسلى
- زلبانى : بائع او صانع المأكولات اللبنية .

حرف السين

- سترة : جاكتة
- سبيل : صنابير الماء التى كانت تضاف الى واجهة المنازل القديمة لكى يشرب منها عابر السبيل مجانا
- سرجه « بكسر السين » : مصنع الزيوت
- سفلقة «وتنطق القاف ألفا» : اكل المال الحرام
- سوارس : آتوبيس قديم كانت تجره البغال

حرف الشين

- شادر : سرادق .. او مخزن اخشاب
- شألباظ : بهلوان
- شهبندر : نقيب التجار
- شفتشى : الملابس المبهرجة
- شفخانه : مستشفى الحيوانات
- شوار : هدايا الزفاف
- شماشرجى : الوصيف الخاص بالرجال
- شوطه : وباء

-٢-

لقد تعمدت ان تقتصر هذه المذكرات على الألفاظ العامية فى اساليب التخاطب بيننا على المستوى العامى .

ويرجع هذا العمد الى اننى مقتنع بأن ما من لفظ عامى فى أساليب التخاطب الدارج بيننا الا ويمت بصلة الى اصل عربى فصيح ، فيما عدا بعض الألفاظ التى التقطناها من الغير بحكم المعاشرة .. ولهذا العمد من جانبى هدف يرتفع الى مستوى مهام المجمع ، وهو كوننا اذا اصلنا بعض او كل الفاظ العامية تأصيلا عربيا ـ فمعنى هذا ان الجيل القادم سيكون قادراً على أن يكتب بلهجة عامية ، لكنها عربية أصيلة ، وأن يتخاطب بلهجة فصيحة لكنها ليست بعيدة عن الاساليب الدارجة .. ان التأصيل العربى للكثير من ألفاظنا الدارجة سيمهد الطريق الى تيسير التخاطب كتابة وقراءة وخطابة بلهجاتنا اليومية العاديه بعد ضبطها شكلا وموضوعا .. فاذا أضاف المجمع الى هذه الخدمة التاريخية أيضا ضغط النحو والصرف فى حدود ما يلزم وترك مالايلزم للمتخصصين فقط ـ عندئذ يكون المجمع ـ الذى يرأسه أستاذ التجديد وأستاذنا طه حسين ـ قد قام بثورة بيضاء ناصعة فى دنيا اللغة العربية .. ويكون قد أدى للاجيال التالية من أبنائنا اكبر الخدمات التى تفتح أمامهم طريق النجاح فى مادة اللغة . وهأنذا أستأنف ما بدأته .

حرف الصاد

- صبوة : بطل
- صرماتى : «بضم الصاد» : اسكافى
- صفارى شمس : الغروب
- صبيت «بفتح الصاد وتشديد الياء» : مطرب مشهور

حرف الضاد

- ضبه « بتشديد الباء » : قفل الباب
- ضنا : فلذة الكبد أى الأبناء
- ضولمة : الخضروات المحشوة المطبوخة

حرف الطاء

- طرنبيطه : الطبلة فى الموسيقى النحاسية
- طبلجى : عازف الطبلة
- طفطف : ترولل صغير يجر بالايدى فى المصايف

حرف الظاء

- ظفر « بفتح الظاء والفاء » : المأكولات الدسمة المطبوخة
- ظلنطحى : أفاق
- ظرظرة « بفتح الظاءين » هياج عصبى ضجة .
- ظمبليطة : مكبر ظيطة .. اى ضجة .

حرف العين

- عجر «بفتح العين» : «البضاعة الفاسدة ، و«بضم العين» أى الشخص الدنىء

- عدل « بفتح العين والدال » الزواج السعيد
- عركة : مشاجرة
- عكام « بتشديد الكاف » : السارق بالاكراه أو الآكل بشراهة
- عفشنه الميه : الحمام وملحقاته
- عويل : من لاأصل له ولا مال ولا عمل

حـرف الغين

- غاغة : ضجة
- غجرى : من لايعرف القيم
- غليون : باخرة
- غندور : متأنق

حـرف الفاء

- فرد : مسدس
- فريرة « بتشديد الراء الاولى » . يسابق الريح .
- فلقة : كماشة من الخشب لضرب الصبية على بطون أقدامهم فى حالة العقاب
- فنجرى : كريم الى حد الاسراف
- فيتون : عربة لشخصين يجرها «سيسى»

حـرف القاف

- قمع : ومرادفها كلمة «قنزوح» أى مدعى
- قمرة : غرفة فى باخرة
- قمبانيه : شركة صناعية

حـرف الكاف

- كهين : خبيث ماكر
- كوماندة : رئيس عمل
- كرتة «بالفتحة» : فضلات المطابخ والموائد
- كرار : مخزن للتموين المنزلى
- كودية : شيخة الزار

حـرف اللام

- لاسة : غطاء للرأس للابسى الجلاليب
- لطة «بتشديد الطاء» : مس من الجن
- لكع «بضم اللام» : بطىء معوق
- لومنجى : معتاد الاجرام
- ليله : سهرة

حـرف الميم

- مبسوط : تستعمل احيانا بمعنى غنى وأحيانا بمعنى سكران
- محلاس : مرائى
- مدحكاتى : ممثل كوميدى
- مركوب : حذاء أحمر مفتوح كان يختص به الازهريون فقط
- مسخوط : ضئيل الجسم
- مشخصاتى : ممثل
- مكبة «بتشديد الباء» : غطاء الاطباق
- ميرى : حكومى
- ميلة : قلة البخت

حـرف النون

- نتانه : قذارة
- نطع : ثقيل الظل
- نقل : «بضم النون» : ياميش رمضان
- نمرسى : تاجر الصينى

حـرف الهاء

- هجاص «بتشديد الجيم» : الفشار
- هلاس «بتشديد اللام» : فاسد العمل أو فاسد الخلق
- هلفوت : عديم الشخصية

حـرف الواو

- وظاويظ : فى عمر الزهور
- وعد : الدعارة
- وليف : أليف

حـرف الياء

- يحدق «بتشديد الدال» : يغازل
- يطنش : يصهين
- يمكخانه : غرفة الطعام الجماعية
- يودود : يغتاب سرا
- يون « بتشديد الواو مع الكسرة » : ينتظر

★★★

مئات ومئات من مثل هذه الالفاظ قد اختفت وحلت غيرها محلها .. فمن يحمى هذه او هذه من الضياع ؟ أليست اللهجة العامية بحاجة الى دراسة تاريخية واسعة من المجمع ؟

مذکرات

عرض حالجی

كنت أشتغل فيوزارة الاوقاف تلميذا ‥ نعم ‥ تلميذا ٠ فقد كانت هذه الوزارة الى ماقبل ثورة سـنة ١٩١٩ تقبل التحاق أبناء السادسه عشرة ليتمرنوا على العمل بها ‥وكان التلميذ يتراوح أجره اليومى بين اربعة وستة قروش ، فاذا مابلغ الثامنه عشرة من عمره وشهد له رؤساء العمل بالكفاءة ، وأدى الامتحان بنجاح فى الاعمال التى تدرب عليها اعتبر موظفا وكان من حسن حظى أن الادارة التى التحقت بها تلميذا كانت تضم الآساتذة الكاتبين الكبيرين ـ فيما بعد ـ عباس محمود العقاد وعبد العزيز البشرى والشعراء المشاهير ـ فيما بعد ـ عبد الحليم المصرى ومحمود عماد وحسن المدرس ومحمدمصطفى الماحى ٠

والحقيقة اننى لم اكن تلميذا طيعا فكان رؤسائى يؤخرون الامتحان الذى يمكن ان أجتاز به مرحلة التلمذة الى مرحلة التوظف بصفة أساسية ‥ وعندما أصبح لامناص من هـذه الخطوة وقعت مصادمة بينى وبين الرئيس الممتحن حول طربوشى ‥ فقد كان من عادتى ان «اعوج» هذا الطربوش ‥ أى اضعه فوق رأسى مائلا الى اليمين ، فلما طلب منى الرئيس الممتحن ان اعدل الطربوش فوق رأسى ، وكان شديد اللهجة فى طلبه ، اعتبرت هذا الطلب بهذه اللهجة اهانة ، فاستعفيت من هذا العمل وقررت ان اشتغل بالاعمال الحـرة حتى اكون رئيس نفسى ٠

ظللت افكر فيما هو « العمل الحر » الذى استطيع ان امارسه وأنا لااحمل اى مؤهل دراسى ولم اتخصص فى صـناعة من الصناعات ‥ وفجأة تذكرت اننى قد اصبحت ذخيرة واسعة فى كتابة العرائض وفى الرد على المساجلات التى كانت بين

ديوان الاوقاف والمحـــاكم ٠ فقـررت ان افتـــح لى مكتب «عرضحالجى» ٠

وكلمة «عرضحالجى» كلمة مخلطه بين العربيـــة والتركية وهى تتألف من ثلاثة مقاطع متداخلة : عرض ٠٠ حال جى ٠٠ فالعرض أى الشرح ، والحال هى الحال ، وجى بالتركية لفظ يضاف الى اسم اية حرفة للدلالة على محترفها ٠٠ فمعنى كلمة «عرضـحالجى » اى كاتب العرائض التى يشرح فيهـا الناس أحوالهم ٠٠ وكانت هذه «العرائض» مرتبطـة بأعمال المحاكم غالبـا ٠

أما مكتب «العرضحالجى» فكان عبارة عن كشك من الخشب به مكتب صغير قد التصقت به اريكة صغيرة تتسـع لجلوس صاحب المكتب والى جانبه الزبون ، وفوقهـا سقف متحـرك يتحول بعد انتهاء أعمال « المكتب » الى باب يقفل به هـــذا الـكشك ٠

كانت هذه الاكشاك ترى مرصوصة بعضها الى جوار بعض أمام دور المحاكم وبعض دوائر الشرطة فى القاهرة والأقاليم ٠ واحتياطا لمواجهه هذه المهنة الجديدة مرنت نفسى على الاعمال القضائية بمكتب أحد المحامين لبضعة اشهر ٠٠ ثم ذهبت الى شيخ العرضحالجية أمام محكمة الاستئناف بميدان باب الخلق أستأذنه فى الانضمام الى فرقته ، فسخر الرجـل منى قائلا : عايز تبقى عرضحالجى فى محكمة الاستئناف مرة واحدة ؟ ٠٠ يابنى لابد لك من ممارســة هـذه المهنة اولا ـ فى المحـاكم الجزئيـة ٠

فذهبت الى فرقة العرضحالجية امام محكمة السيدة زينب واستأذنت شيخ الفرقة فى الانضمام اليها ، وبعد الوساطات اللازمه قبل الرجل ويسر لى شراء كشـك احد العرضحاليـة الراحلين ممتدحا اياه بأن فيه كرسيين من القش ودواة ذات غطاء نحاسى وان سـقفه يمكن رفعه او خفضه تبعا للاحـوال الجوية ٠٠ واشتريت هذا الكشك بجنيهين يدخل فيهما حساب « خلو الرجل » أيضا ٠

الخطابات الغرامية والاختام

فى اليوم الأول لممارسة هذه المهنة ذهبت الى «مكتبى» مبكرا جدا ، وحملت معى «رزمة» من الورق المسطر ذى الهوامش العريضه وزجاجة من الحبر وخمسة من الاقلام « البسط » اشتريتها بخمسة مليمات .. والقلم «البسط» قلم من البوص يستطيع «الكاتب» أن يبرى طرفه بمطواة فيصبح فى شكل سن «الريشة» .

جلست وراء مكتب أكتب على السطر الاول من احدى الصفحات البيضاء «حضرة صاحب العزة قاضى المحكمة» وعلى السطر الاول من صفحة اخرى : «حضرة صاحب العزة رئيس النيابة » وعلى السطر الاول من صفحة ثالثة «حضرة صاحب الرفعة مأمور القسم» .. وأولئك هم رؤساء الجهات الثلاث التى يمكن انه يطلب الزبائن كتابة العرائض اليها .

لكن ما كادت ساعات العمل تبدأ حتى أقبلت اول زبونة .. الواقع انها كانت حلوة الوجه كما رأيته بعد أن رفعت النقابات لتملى على « العريضة » التى تريد كتابتها .. ولم تكن ماتمليه «عريضة» انما كان خطابا غراميا .

ومع ان كتابة العريضة كانت تسعيرتها خمسة قروش فان السيدة صاحبة هذا الخطاب قد منحتنى ستة قروش بعدالذى سمعته من كتابتى التى اتلوها عليها .. وكانت فاتحة خير لان هذه الزبونة قد دلت على زبونات أخريات .

اما فى اليوم التالى فقد كان الزبون من نوع آخر . كان جزارا قادما لتوه من «المدبح» وقد وضع سكينة فوق مكتبى وهو يقول : أكتب يا كاتب ..وهممت بالكتابة .. لكننى لاحظت انه يملى شتائم لحضرة « صاحب الرفعة المأمور » فلما حاولت الامتناع عن الكتابة حرك سكينه فى وجهى قائلا : «اكتب .. عايز كام عشرين قرش ، خمسين .. كما تريد » .

وحاولت ان افهمه ان هذا الكلام غير لائق ، فأمسك بخناقى

وجاء جارى ليخلصنى ، فاذا به لشدة دهشتى يقف فى صف هذا الجزار .. ثم يقول لى : هذا كلام سيوقع عليه حضرته بخاتمه فمالك أنت .. ؟

وأين هو الخاتم ؟

وهنا اكتشفت ان مكتب ، او كشك العرضحالجى لابد أن يكون مزودا بالاختام النحاسية الصغيرة التى يكتب عليها أسماء الزبائن بواسطة مبرد صغير .. فأسرعت الى ابتياع عدد كبير من الأختام الخام ومبرد وختامة .. ثم تبين لى أن تجارة هذه الأختام تدر ربحا اكثر من كتابة العرائض حيث كان امثال هذا الزبون الجزار يفقدون اختامهم بطريق العمد ، كل يوم او كل بضعة ايام ليصنعوا ختما آخر بعد ان يعلنوا فى اية صحيفة من الصحف الصغيرة الاعلان التقليدى الذى يقولون فيه «ختمى فقد منى وأيه ورقة تظهر ممهورة بهذا الختم تعتبر لاغية» .. وما كان أيسر هذا الاعلان فقد كان نشره نظير عشرين قرشا فقط .

تهديد وعمل وطنى

تعودت هذه المشاكل الصغيرة فى طبيعة عملى الجديد .. لكننى اليوم قد واجهت مشكلة من نوع آخر .. اليوم جاءنى شاب أنيق يبدو انه طالب بالمدارس العليا وطلب منى ان اكتب له خطابا .

نظرت اليه متعجبا فليس معقولا ان يكون مثله أميا أو لايجيد الكتابه .. قال لى : المسألة كلها اننى اريد خطابا بخط مجهول ، فقلت له : يعنى تريد حضرتك ان تدخلنى فى قضية تزوير ؟ قال : لا .. بل اريد ان ادخلك فى القضية الوطنية وقد اخترتك انت بالذات لاننى لاحظت انك « افندى » بينما زملاءك العرضحالجية من لابسى الجلاليب ، فقدرت فى نفسى انك لابد أن تفهمنى بسهولة .

سألته : ولمن سيكون هذا الخطاب ؟

أجاب : الى «حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء» .

واعترانى نوع من الذهول .. فان اكبر شخص تجـرأت بالكتابة اليه هو القاضى الجزئى ـ ترى ماذا سيكون اسلوب مخاطبة رئيس الوزراء ؟

فلما اوضحت للشاب مافى نفسى قال لى : انا الذى ساختار العبارات ..وبينما كان يملى عباراته همسا كانت يدى ترتجف من تدوينها .. فقد كانت عباراته تهديدا لرئيس الوزراء الى درجة الموت اذا هو لم يعدل سياسته بحيث تتمشى مـع امانى الشعب .

وكان مفهوما ان هذه العبارات تشكل من الناحية القانونية جريمه لكننى احسست ان هذه « الجريمة » تريح ضـميرى كمواطن .

على ان الذى ادهشنى كيف اختار الشـاب كتابة خطاب التهديد هكذا علنا وعلى قارعة الطريق وامام باب احدى المحاكم؟

سألته هذا السؤال فأجاب : هذه احسن وسيلة لاخفاء سرنا معا . فان أحدا لايمكن ان يخطر بباله اننا نكتب هنا مثل هذا الخطاب .

قال هذا وهو يأخذ منى الخطاب ويقدم الى جنيها . فرددته اليه شاكرا لاننى «وطنى» مثله تماما .. وقد عوضنى الله عن هذا الجنيه خمسة فى قضية احد اعيان الريف الذى ظن ان مكاتب العرضحالجية كمكاتب المحامين يمكن لها ان تقوم بكل انجازات القضايا امام المحاكم . وقد اعطانى الرجل عشرة جنيهات فوكلت منها احد شباب المحامين بخمسة واخـذت الخمسة الاخرى ، وكان نجاح هذه القضية سببا فى كثرة المعاملات معى من هذا الطراز من الزبائن حتى تحسنت احوالى المالية كثيرا .

لكن القدر لايترك انسانا على حاله . فان ظهور فئة المعلمين الالزاميين وقيامهم بكتابة العـرائض للفلاحين والعمال الأميين كان سببا فى كساد صناعتنا .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ فازددنا بها كسادا ثم ظهرت القوانين التى جعلت جميع الاعمال القضائية لابد ان يقوم بها المحامون . فقفلنا مكاتبنا ـ اقصد اكشاكنا ـ ثم حولت كشكى الى كشك لبيع السجائر .

مذكرات

مفتش مقاهي

كان لنا رفيق من رفاق الصبا فى حى الحلمية الجديدة نسميه (مفتش المقاهى) .. كان سبب هذه التسمية أن هذا الرفيق ما ان كان يفرغ من استذكار دروسه حتى يقوم بجولة بين انواع معينة من مقاهى القاهرة .. ثم يعود الينا ليصف لنا مارآه فى ندواتها . أقول فى ندواتها لان بعض مقاهى القاهرة فى الجيل الماضى كانت محلا مختارا لفئات معينة من رجال الفكر يعقدون فيها ندواتهم .. وكان أشهر هذه المقاهى مقهى الحلمية الذى يقع على ناصية حينا القديم ، ومقهى بار اللواء الذى كان فى مواجهة الدار القديمة لجريدة الاهرام .. كان مقهى الحلمية ناديا أدبيا ، وكان مقهى بار اللواء ناديا سياسيا .

فى مقهى الحلمية كانت تعقد الندوة الادبية التى يتصدرها شاعر النيل حافظ ابراهيم وكان من اعضاء هذه الندوة بين أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينيات : الشاعر محمد الهراوى والشاعر محمد الأسمر والأديب كامل كيلانى .. ومن المصادفات العجيبة فى تاريخ الأدب المعاصر أن الشاعر محمد الهراوى والكاتب كامل كيلانى هما أول شاعر وكاتب عنيا بقصص الاطفال ، كان الهراوى يصوغ هذه القصص شعرا وكيلانى يصوغها نثرا .. وكان يحضر هذه الندوة رجل من رجال التعليم اسمه محمد صادق ، وهو الرجل الذى اشتهر فى اذاعة الثلاثينيات باسم (بابا صادق) لانه أول معلم اذاع احاديث الاطفال من الاذاعات الاهلية قبل سنة ١٩٣٤ ومن الاذاعة الرسمية بعد سنة ١٩٣٤ وهو الرجل الذى خلفه من بعد فى هذه الرسالة (بابا شارو) .. لكن من يذكر الان (بابا صادق) ؟

أما مقهى بار اللواء فكان يجتمع فيه كل مساء كثير من

رجال الاحزاب والصحفيين وكان يتصدر ندوة بار اللواء حفنى محمود (باشا) أحد الوزراء الاسبقين وشقيق الزعيم السياسى السابق محمد محمود (باشا) ٠٠ لقد بلغ من أهمية هذه الندوة أن بعض المستوزرين الذين كانوا يتطلعون الى الاشتراك فى الحكم كانوا يعقدون اجتماعاتهم مع حفنى محمود فى بار اللواء أحيانا ٠

وفى بار اللواء كانت تسقط الخلافات الحزبية ٠٠ فكان من المناظر الطريفة فى هذا المقهى منظر حمد الباسل (باشا) الذى كان يلبس الملابس العربية التى اشتهر بها اعيان الفيوم وهو يتبارى فى لعبة النرد مع حفنى محمود ٠٠ حمد الباسل كان يوما ما وكيلا لحزب الوفد وحفنى كان شقيق زعيم الاحرار الدستوريين معارضى الوفد ٠

ولمقهى بار اللواء صلات حميمة بالصحافة ٠٠ ففيه كان يتناول محررو الاهرام طعامهم وشرابهم ٠٠ بل ان اسم المقهى نفسه قد اشتق من اسم جريدة (اللواء) التى انشأها مصطفى كامل فى فجر القرن العشرين فاقترن تاريخ هذا المقهى بتاريخ جريدة اللواء وكان المقهى اطول من الجريدة عمرا ٠ فجريدة اللواء القديمة قد توقفت سنة ١٩١٤ ٠٠ اما المقهى فقد ظل قائما بعدها اربعين عاما ٠

ولقد بلغ من الصلة الحميمة بين الصحافة وبين اللواء ان الصحفيين حين فكروا فى انشاء نقابة لهم ، على المستوى الأهلى ، قبل نقابة الصحفيين الحالية التى أنشئت سنة ١٩٤١، قد اتخذوا من الدور العلوى لبار اللواء مقرا لنقابتهم الاهلية كان ذلك سنة ١٩٢٣ وما بعدها الى ان فتح الله عليهم بعد أكثر من سنة بالانتقال الى مقر آخر فى احدى الشقق ٠

حزب فى مقهى

كان المنافس لمقهى بار اللواء مقهيان ٠

الاول : الانجلو ٠٠وكان على بعد خطوات من بار اللواء فى منتصف المسافة بين دار الاهرام القديمة ومبنى البنك الأهلى

القديم (وهو الآن مبنى البنك المركزى) وكان رواد بار لانجنو من عشاق الخلوة حتى لقد كانوا وكأنهم أعضاء ناد خاص يعرف بعضهم بعضا فرواد الغرفة العليا كانوا هواة (الكونكان) وكان من بينهم الزميلان الراحلان كامل الشناوى وقاسم جودة ٠٠ورواد الغرفة الخاصة بالطابق الارضى كانوا هواة النكته والاطعمه الخفيفة وكان من بينهم زميلنا الاكبر فكرى أباظة والمرحوم الشيخ عبدالعزيز البشرى وينضم اليهما كامل الشناوى ، وقد خلف ثلاثتهم فى هذه الغرفه الشعراء الخالدين حافظ ابراهيم وخليل مطران واسماعيل صبرى باشا ٠٠ كانت هــذه الغرفة تفتح ، بل كان المقهى كله يفتح فى بعض الايام فى الساعة السابعه صباحا لاستقبال فكرى اباظه وحده بينما كان يرغب ان يتناول افطاره خارج المنزل قبل ان يتوجه الى النادى الاهلى ٠

الثانى النيوبار ٠٠٠ وهو اكثر المقاهى سعة فى وسـط المدينة ، انه لايزال باقيا حتى الان فى ميدان الاوبرا وان تغيرت ملامحه الموضوعية لا الشكلية ٠٠ لقد بلغ من حفاوة النيوبار سابقا بالجو السياسى العام ان اشهر رواده فى الجيل الاسبق وهو وحيد (بك) الايوبى ٠٠قد اتخذ منه مقرا لحزبه الذى كان يضم بعض فرادى المهتمين بالسياسة ممن كانوا يعارضون سائر الاحزاب الكبرى المعترف بها وقد شـاعت هذه الروح فى كثرة رواد النيوبار الذين لم تكن لهم صـلة بحزب وحيد الأيوبى لكنهم كانوا من رجال الصف الثانى الذين يعلنون انهم (مستقلون) عن الاحزاب وهم طبقة من المواطنين الذين كانوا يرشحون أنفسهم لعضوية البرلمان والوزارة بوصفهم من ذوى الخبرة ، أى من كبار الموظفين الحاليين أو السابقين او من كانوا يسمون باسم (الاعيان) ٠

وفى مواجهه النيوبار من الناحية الجنوبية اى خلف تمثال ابراهيم باشا حيث تقع الان احدى (الصالات) كان مقر مقهى (الشيشة) واسم (الشيشة) هو اسم الشهرة فقط ، كان لهذا المقهى اسم آخر ٠٠ وكان رواده أكثر عصرية من رواد سائر مقاهى ميدان الاوبرا ٠٠ كانوا غالبا من (الوجهاء) العصريين

ومن ينضم اليهم من المثقفين وكان أشهر أولئك (المنضمين) الدكتور احمد ماهر الذى صار فيما بعد رئيسا للحكومة ٠

كان احمد ماهر يتزعم فى هذا المقهى غرفه (البنياردو) التى كان من ابطالها ٠٠ومما يذكره العارفون ان احمد ماهر كان يلعب (البلياردو) بهذا المقهى حينما استدعى على عجل فى ربيع سنة ١٩٢٤ ليشترك فى وزارة سعد زغلول ٠٠ فكان اول (افندى) واول (استاذ) واول (شاب) يدخل الوزارة ٠٠ لقد كان يومئذ فى الخامسة والثلاثين من عمره والى سنة ١٩٢٤ كان لايدخل الوزراة الا الشيوخ شيوخ السن أو شيوخ السياسة على الاقل ٠

- ٢ -

فاجأنا رفيق الصبا الذى كنا نطلق عليه فى صبانا لقب « مفتش المقاهى » مفاجأة مثيرة ٠ حينما قال لنا انه قضى ليلة الآمس ساهرا مع أمير الشعراء أحمد شوقى ٠٠ حسبناه يقصد انه بات الليل ساهرا مع شعر شوقى مطبوعا فى كتاب أو منقولا فى كراسه من كراريس المدرسة ٠٠ فقد كان شعر شوقى من النصوص المقررة علينا فى المدراس ٠

لكنه أثارنا بقوله انه كان ساهرا مع أمير الشعراء لا مع شعره ٠٠ لقد كنا نسمع ان شوقى يسكن قصرا ببابه حارس وبداخله سكرتير وان مقابلة بعض الحكام ادنى من مقابلته فسألنا (مفتش المقاهى) وكيف اقتحمت مجلس هذا العظيم ٠٠ فأجاب انها بركة المقاهى ٠٠ ثم استطرد يقول :

لقد اكتشفت انواعا خاصة من المقاهى يغشاها الذين يخافون ضجيج المقاهى ٠٠ انها منتديات كبريات محال الحلوى او مشارب كبريات محلات الشراب وكان اكبر هذه المحال محل (صولت) المحل المختار لسهرات شوقى أمير الشعراء ٠

أما الذى اوصل صاحبنا (مفتش المقاهى) الى مجلس شوقى فى محل صولت فهو الدكتور سعيد عبده وكان اذذاك لايزال

طالب طب ، لكن شهرته فى الزجل قد شـدت رفيقنـا اليـه ليعرض عليه محاولاته الزجلية فتواعد واياه على اللقاء فى هذا المحل فى أول الليل وكان سعيد ينتظر أمير الشـعراء الذى كان يرى أن هذا الزجال الذكى أقرب الشباب اليه بعد صفيه الموسيقار محمد عبد الوهاب .

يقول صاحبنا : وامتدت بنا الجلسة من حيث لا ندرى حتى كاد ينتصف الليل .. وفى هذه الساعة المتأخرة جاء شوقى ليلتقى برفاق سهرته ، وكان ابرزهم فى هذه الليلة الدكتور محجوب ثابت الطبيب الذى يتزعم حركة العمال ومحمود فهمى النقراشى السياسى الشاب عضو البرلمان الذى صار فى سنة ١٩٤٥ رئيسا للوزراء .

لقد التقى فى محل (اسدية) بالاستاذ محمد كرد على رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ، والى مائدته فى محل (أسدية) كان يلتقى احمد زكى باشا الملقب بلقب (شيخ العروبة) ومحمد مسعود بك الشهير بابحاثه فى التاريخ العربى والشـاعران العظيمان حافظ ابراهيم وخليل مطران وشـيخ الممثلين جورج ابيض وغيرهم من رجال الفكر والفن والادب من ذوى الاهتمامات بالوحدة .. ومن ذوى الشهية القوية لاطباق الكنـافة وعيش السراية والمهلبيات المختلفة .. وعلى تداول هذه الاطباق فى ساعة متأخرة من الليل كان يدور حديث طويل عن الروابط الفكرية التى تمثل قوام القومية العربية .. وكان محمد كرد على العالم الاديب السياسى السورى الذى يشغل منصب الوزارة فى سورية من قبل يختتم هذه السهرات بكلمتـه التقليـدية خذوا نصف ما بقى من عمرى ولـكن حققوا الوحـدة بين مصر وسوريه تتحقق لكم الوحدة بين البلاد العربية جمعا .

أركان الاقطاب

يقول رفيق الصبا (مفتش المقاهى) انه اكتشف فى يوم تال ان ثالث محال هذا النوع الرفيـع من المقاهى المسـتترة

بستائر الارستقراطية هو محل (ليمونيا) وهو محل فسيح الارجاء بشارع قصر النيل على مقربة من ميدان ســـوارس (ميدان مصطفى كامل الان) لكنك لاتكتشف هذه السعة كلها الا اذا دخلته فبابه باب صغير كأى باب زجاجى لبائع حلوى ٠٠ حتى اذا تخطيت بابه سرت فى ممرات واركان ودهاليز تنتهى بك من الناحية الخلفية الى شارع عمـــاد الدين حيث تجـــد باب الخروج لزبائن آخر الليل الذين لاينصرفون الا بعـد غلق الباب الرئيسى لهذا المحل بساعات ٠

ورواية (مفتش المقاهى) عن هذا المحل لاتقـــل اثارة عن رواياته السابقة بالنسبة لنا فى فجر صبانا ٠٠ انه يقول :

لقد كانت فى محل (ليمونيا) اركان خاصة مشهورة باسماء الطبقة الخاصة من رواد هذا المحل ٠٠ وكان أول هذه الأركان ركن حافظ بك رمضان الذى كان رئيسا للحزب الوطنى حيث كان يقضى سهراته مع بعض أخصائه من رجال حزبه والحديث بينهم يجرى فى المقارنات بين ثورة زعيمهم الاول مصطفى كامل وبين ثورة سعد زغلـــول قائد ثورة سنة ١٩١٩ ٠٠ انه كان حديثا مثيرا لصاحبنا كما كان مثيرا لنا عند سماعه ٠٠ ذلك ان شباب الجيل جميعا كانوا من انصار سعد بينما كان الحديث على مائدة حافظ رمضان يجرى حول أخطاء سعد !

أما الركن الثانى فقد كان ركن جراح مصر العظيم الدكتور على ابراهيم الذى كان يتمتع بشهرة عالمية ٠٠ وكان مجرد وجود على ابراهيم فى محل عام للترفيه شيئا مثيرا لصاحبنا ٠٠ ولنا أيضا ٠٠ فقد كان المعروف ان هذا الجراح لايجد الوقت الكافى لتناول طعامه لكثرة ما لديه من شواغل ، فكيف به وهو يقضى سهرة كاملة فى تبادل القفشات مع صـديقه الاديب الـكبير الشيخ عبد العزيز البشرى وحولهما بعض كبار الاطباء كالدكتور (انسى) الاستاذ المصرى الأول بكلية الطب والدكتور سليمان عزمى والدكتور عبد العزيز اسماعيل وكلهم ممن وصلوا الى عمادة الطب او تولوا منصب وزير الصحة ٠٠ لكنهم فى هـذه الجلسة لاينطقون بكلمة واحدة فى الطب ٠

وأمام الركن الثالث كما وصفه لنا رفيق الصبا (مفتش المقاهى) فقد كان ركنا عليه استار مسدلة حرص على ان يخترقها عن بعد بنظرة ، فاذا هناك مائدة خضراء عليها اكوام من الورق الاخضر تدعو للذهول ٠٠ لقد كان ركن لاعبى الورق الذين يتزاحمون على مئات الجنيهات ٠٠ الركن الذى يظل ساهرا الى مابعد انصراف الجميع فى الهزيع الاخير من الليل ٠

وكان حافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطنى يزورهم آخر الليل مودعا ليقول لهم ضاحكا : ليتكم تشدون اليكم بعض اغنياء الممثلين لتأخذوا منهم بعض ما اخذوه منا ٠

- ٣ -

يقول صديقنا رفيق الصبى الذى كنا نطلق عليه فى ايام الطلب لقب « مفتش مقاهى » انه اكتشف ان للمقاهى صلة بالتاريخ ٠٠ انها ليست مقاهى الحى اللاتينى فى باريس وحدها التى شهدت « تصنيع » الثورة الفرنسية ٠٠ بل انها مقاهى وسط المدينة بالقاهرة أيضا ٠٠ ثم يقول صاحبنا ان اكثر المقاهى صلة بالتحركات التاريخية فى بلادنا هو مقهى «متاتيا» وهو المقهى القائم فى خلفية دار الاوبرا فى المواجهة الجانبية لمسرح حديقة الأزبكية الذى تحول الآن الى المسرح القومى ٠

ان تاريخ هذا المقهى يرجع الى مائه عام ٠٠ وفى ركن من آركانه الداخلية كان جمال الدين الافغانى يعقد ندواته السياسية ٠٠ والدينية ايضا « !! » ٠٠ كان من رأى جمال الدين الافغانى آن ينزل بفلسفته الى الشارع ليلتقى بغير الازهريين بعد آن يفرغ من القاء محاضراته فى صحن الازهر ٠ وكان من المشاهد الفريدة أن يسهر فى هذا المقهى فيلسوف عصره جمال الدين الافغانى والى يمينه احيانا ، صفية الامام محمد عبده ومن حولهما طائفة من شباب عصرهم المثقفين ٠٠ كان جمال الدين الافغانى ينظم فى هذه السهرات حوارا مع

أولئك الشباب حتى يبثهم افكاره فى جلسات يحسبون انها من جلسات التسلية !!

فى جلسات الافغانى بمقهى « ماتاتيا » كانت توضع العناوين الكبيرة للمقالات والكتب التى كان الافغانى صاحب فكرتها الثوريه ،لكنه كان يترك كتابتها لتلاميذه حتى لقد كان المراقبون يعرفون ـ مقدما ـ ماهى المقالات الثائرة التى ستظهر فى الصحف بعد يوم أو يومين من متابعة ندوات الافغانى فى هذا المقهى ٠

ولما خرج الافغانى ، او اخرج ، من مصر ظل مقهى «ماتاتيا» عشرات السنين بين اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، يشد اليه ، بصفة خاصة ، ثوار بلاد المغرب العربى من ليبيين وتونسيين وجزائريين ومراكشيين ٠٠ لقد كانوا وهم فى الخارج يتواعدون على اللقاء فى مقهى « ماتاتيا » فى القاهرة ٠٠ ولقد كان أولئك الثوار المغاربة (ومنهم الرئيس) بورقيبه يتعمدون الجلوس بين الناس واحيانا على رصيف المقهى ،وهم يتحدثون بصوت عال ، وكانهم يخطبون ،ليسمعوا الناس الذين لم يكونوا قد سمعوا بعد بثورات اخوانهم فى بلاد المغرب ماذا يجرى هناك فى العشرينات ٠

والى جانب هذه الندوات السياسية كانت هناك ندوات أدبية ٠٠ ويقال ان الكاتب العظيم المويلحى قد استوحى فكرة كتابه الخالد « حديث عيسى بن هشام » من احاديث مقهى « ماتاتيا » ٠ بل يقال أنه كتب مقدمات هذا الكتاب الذى صور فيه مجتمع القاهرة قبل جيلين على احدى موائد هذا المقهى ٠٠

ومع تطور الزمن صار مقهى « ماتاتيا » مقرا لممثلى مسرح حديقه الازبكية المقابل له ٠ يقضون به فترات راحاتهم ويتحدثون فى هذه الفترات عن رواياتهم المقبلة ٠

وبزحف الفنانين على مقهى « ماتاتيا » فكر هواة الشطرنج فى الانتقال الى مقهى اخر اسسه خلف مقهى « ماتاتيا » أحد

اليونانيين الاذكياء لهذا الغرض وهو المقهى الذى يقع حاليا فى مواجهة الباب الخلفى ، باب الممثلين ، لدار الاوبرا ·

فى هذا المقهى الجديد ·· الجديد باعتبار ما كان فى العشرينات تألف نادى هواة الشطرنج الذى رأسه فيما بعد زميلنا الصحفى المرحوم محمد خالد ·· وقد استطاع محمد خالد أن يدخل بنادى الشطرنج فى هذا المقهى الصغير المباريات الدولية فى الشطرنج ·· وكان ينشر أنباء هذه المباريات فى الثلاثينات والاربعينات على صفحات جريدته « الدستور » فانتزع هذا الباب من ابواب المواد الصحفية من جريدة « السياسة الاسبوعية » فأصبحت جريدة الدستور ، كما كانت تنطق بلسان حزب الهيئة السعدية ـ تنطق أيضا بلسان نادى الشطرنج · ومن المصادفات العجيبة ان رئيس هذا الحزب الأول ، وهو الدكتور أحمد ماهر كان من أبطال هذه اللعبة ·

كانت الفئه الغريبة على هذه المقاهى الى بداية العشرينات هى فئة الفنانين او بعبارة اكثر دقة من فئة الممثلين الذين كانوا يشغلون أكبر حيز من مجتمع الفنانين ·· ذلك ان الموسيقيين القدامى كانوا فريقين ، فريقا بلغ القمة فيمتنع عن ارتياد المقاهى وفريقا لا يزال على السفح ·· وكان اعضاء هذا الفريق ينتشرون فى أوقات فراغهم على مقاهى شارع محمد على ·· وفى هذه المقاهى كانت تعقد اتفاقات السهرات الغنائية ·

كان كل مقهى من مقاهى شارع محمد على معروفا بنوع من أنواع الموسيقيين ·· وكان أقدم هذه الانواع فريق الموسيقات النحاسية التى كان يتزيى رجالها بزى خاص أقرب ما يكون الى الازياء العسكرية ·· كان هذا فى الزمن الماضى الذى كان من تقاليد افراحه ، أى حفلات ليالى الزفاف ، ان تجلس فرقة من فرق الموسيقى النحاسية بباب دار الفرح كى تحيى القادمين المدعوين والمدعوات ·· وتظل تعزف طوال النصف الاول من

من الليل حيث ينتهي عزفها عندما يبدأ « صبيت » أى مطرب الاحتفال فى ترديد أغانيه .

وفى سنة ١٩٢٣ عندما انشىء مسرح رمسيس بشارع عماد الدين تحول المقهى المقابل لمبناه الى مقهى خاص بالفنـــانين ، واتخذ له اسم « قهوة الفن » .. وهو اول مقهى فى تاريـخ مقاهى القاهرة ترتاده النساء .. لكنهن جميعا كن من اعضاء فرقة مسرح رمسيس والمسارح المجاورة .

فى « قهـــوة الفن » كتب بديع خيرى الكثير من أزجاله ومسرحياته .. وفى هذا المقهى كان يجتمع نقاد المسرح بالممثلين والممثلات ويتم التعارف الشخصى بين الفريقين وهو التعارف الذى كانت تظهر أثاره على صفحات الفن فى جميع الصـحف اليومية والاسبوعية .. ان السهر فى « قهوة الفن » كان جواز المرور الى أن يكون الصحفى الناشىء ناقدا مسرحيا .. وكان أشهر النقاد من رواد هذا المقهى محمد التابعى ومحمد على حماد والمرحوم محمد على غريب .. بل ان مجلة المسرح التى أنشأها الصحفى الشاب المرحوم عبد المجيد حلمى بالاتفاق مع محمد التابعى قد ولدت فى « قهوة الفن » .. وكذلك كانت المادة الفنية فى مجلة روز اليوسف التى ظهرت من بعد كان نصفهـا يستقى من سهرات هذا المقهى .

كان هذا كله فيما يختص باهل الفن من المصريين .. اما الاجانب . وما كـان اكثرهـم فى الوسـط الفنى الى نهـاية العشرينات ، فكان لهم مقهى اخر يبعد عن « قهوة الفن » مائتى متر على الاكثر ، وهو المقهى الملحق بمسرح الكورسال الذى تشغل مكانه الان عمارة عدس بشارع عماد الدين وكان هذا المقهى مشهورا بأنه مصدر «الموضة» عنـد الفنانين والفنانات كـانت هنـاك « بعثـــات » تروح وتجىء بين « قهـوة الفن » ومقهى الكورســـــال لاكتشاف التقـــاليع التى كانت تظهر فى أزياء الممثلات والممثلين القادمين والقادمات من الخارج .

واذا كان هذان المقهيان قد عرفا باهتمامات جمهورهمـــا بالفن . فان شارع عماد الدين كان يضم مقهى اخر يحمل اسم الشارع نفسه .. وكان هذا المقهى معروفا باهتمامات جمهوره

بالقراءة .. ففى زوايا هذا المقهى كنت تجد أناسا قد استغرق كل منهم فى قراءة قصة أو كتاب أو مجلة .. وكثيرا ماتكون هذه المطبوعات من المطبوعات الاجنبية أو المستوردة .

فى هذا المقهى بالذات كنت تجد مجموعة من باعة الكتب والمجلات كل منهم يحمل حملا منها يرتفع الى ما فوق قامة الرجل .. هذا يروح وهذا يجىء . وكل منهم قد تخصص فى نوع معين من المطبوعات ، وكل منهم يعرض على رواد المقهى بضاعته فى عبارات مثيرة مثل : هذا كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين الذى صادرته الحكومة .. وهذه قصة غراميات مؤسسة السينما عزيزة أميرة وهذه سلسلة فضائح «بنت الذوات» .. وكان بعض أولئك الباعة يعرض على من يأنس فيهم الكتمان مجموعة من الصور الملونة التى يحبها الشباب ويكرهها القانون .

- ٤ -

كانت تجارة الكتب ـ كما يقول رفيق الصبا الذى اسميناه مفتش المقاهى ـ أروج ماتكون فى مقاهى الحى الحسينى .. والكتب التى كان يعرضها الباعة على رواد مقاهى الحسين تختلف تماما عن نوع الكتب التى يسرح بها باعة الكتب فى شارع عماد الدين .. انها كتب تتصل غالبا بالتاريخ الاسلامى وبين حين وآخر يعرض عليك بائع الكتب فى هذه المقاهى كتابا مصادرا من كتب ثورة سنة ١٩١٩ مثل (مذكرات عضو فى جمعية اليد السوداء » أو كتاب «الصليب والهلال» وكيف اجتمعا فى اجتماعات الازهر خلال تلك الثورة وقد اتخذ هذا الكتاب شعارا له قول حافظ ابراهيم :

الشيخ والقسيس قسيسان

وان شئت فقل هما شيخان

وقد كان اشهر هذه المقاهى ، بغير منازع ، هو مقهى الفيشاوى ، وقد اشتهر هذا المقهى بشراب (الشاى الاخضر)

وكان ثوار الشباب فى العشرينات والثلاثينيات يتظاهرون بانهم يرتادون هذا المقهى لتناول هذا الشاى بينما كانوا يلتقون سرا لتدبير تحركاتهم الثورية ضد جيش الاحتلال .
وكما اشتهر مقهى الفيشاوى بشراب الشاى الأخضر فقد اشتهر ايضا بأنه اكثر المقاهى اتساعا للعبة الدمينو .. لقد كان مائة من هواة هذه اللعبة يتبارون فيها كل مساء بهذا المقهى فى وقت واحد .

كان مقهى الفيشاوى عند قيام الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ المخبأ الجماعى لمحبى السهر .. فلم تكن تجد فى القاهرة كلها مقهى ساهرا طوال الليل فى ليالى الغارات الا مقهى الفيشاوى .. هناك ، وفى رحاب الحسين كان الرواد وكأنهم فى عالم آخر لاغارات فيه .. انهم يغلقون ابواب المقهى ويمارسون لعبة الدومينو وشراب الشاى الاخضر دون أى احساس بالقلق الذى كانت تثيره الغارات فى أى مكان اخر .

ولما صار مقهى الفيشاوى على سعته غير الطبيعية اقل من رواده حجما - زحف فريق منهم الى (قهوة المجاذيب) وهو المقهى المتواضع الذى يقع خلف (الباب الأخضر) للمشهد الحسينى والذى كان يأوى اليه (المجاذيب) من الجنسين طوال الليل .. لقد كان بالنسبة لهم فندقا مفتوح الابواب دائما والسهرة فيه الى موعد أذان الفجر لم تكن تكلف أحد رواد المقهى غير خمسه او عشرة مليمات ثمنا لما يتعاطى من (المشاريب) .

لقد كان اولئك (المجاذيب) لايدفعون هذه الملاليم .. كان لكل منهم .. او لكل منهن معجبون يلوذون بهم ويعتبرونهم ضيوفا عليهم .. وكانت هذه الضيافة تأخذ فى بعض الاوقات صورة أخرى تبدو فى الاطعمة التى يستحضرها أولئك المعجبون من بيوتهم لدعوة المجاذيب اليها .. وكان اشهر هذه الاطعمة صينية الكنافه التى يحضرها معه كل مساء زميلنا الصحفى الراحل اسماعيل طاهر عليه رحمة الله طوال شهر رمضان .

قهوة المعلم « ماما »

وذات مساء قال زميلنا الراحل ايضا المرحوم عبد السميع عرابى ، وهو احد انجال الزعيم أحمد عرابى ، اذا كانت المسألة مسألة هروب من المقاهى (الافرنجى) الى المقاهى (البلدى) فان فى حينا ماهو اعجب وكان يقصد بحيه حى الحنفى حيث كان يقيم ٠

وفى المساء التالى ، وبعد منتصف الليل اصطحب عبدالسميع عرابى عددا من زملائه محررى جريدة الاهرام الى اشهر مقهى (بلدى) فى حى الحنفى ٠٠ كان اسمه (قهوة ماما) و (ماما) هو اسم (المعلم) الكبير صاحب المقهى ٠

لقد كانت لهذا المقهى صورة اخرى تختلف عن صور المقاهى جميعا ٠٠ ففى هذا المقهى كانت تقام المباريات بين الديكة الروميه ويدربونها على المصارعة ٠٠ المصارعة بين الديكة عن طريق مناقيرها وكانت تجتمع لهذه المباريات الجموع ٠٠ كل فريق يشجع ديكا ٠٠ تماما كما يحدث فى سائر المباريات كالملاكمة بين ابطالها من البشر ٠

العجيب ان هذه الهواية كانت تشغل فريقا من الناس غير (المعلمين) وهم بعض (الذوات) القدامى الذين كانوا يربون الديكة ويدربونها فى حدائق دورهم القديمة ، ثم يشتركون بها فى مباريات مقهى (المعلم ماما) بحى الحنفى ٠٠ لقد كان زميلنا الراحل عبد السميع عرابى أحد هؤلاء ، ولقد بلغ من اعجابه بهذه المباريات انه لم يتخلف عن احداها فى ليلة مرضه المرض الذى افضى به الى الموت ٠٠ فبدأ يسلم الروح وهو على كرسيه فى مقهى المعلم ماما ، لكن رفاقه قد سارعوا به الى بيته ٠٠ وربما كانت ليلتها هى اخر ليلة شهدت فيها (قهوة ماما) هذا النوع من المباريات فقد كان عبد السميع عرابى رجلا جذاب الخلق وقد احزن موته كل من عرفه ٠

مقهى أدباء دار الكتب

يقول رفيق الصبا (مفتش المقاهى) ان مقهى اخر من طراز اخر قد بقى فى مذكراته ، وهو مقهى (دار الكتب) بباب الخلق ولم يكن هذا هو اسم المقهى اصلا ، لكنه قد تسمى به نسبة الى جيرته لدار الكتب ، ولأن اهم رواده كانوا من موظفى هذه الدار .

كان النظام القديم لموظفى دار الكتب الايتناولوا القهــــوة والشاى والسجائر داخل الدار بل كان يعطى لهم نصف ساعة كل يوم بين الحادية عشرة والحادية عشرة والنصف قبل الظهر لتناول مشروباتهم خارج الدار .. فكان أغلبهم يقضى هـــــذه الدقائق الثلاثين فى هذا المقهى الصغير .

لقد كنت ترى فى هذه الدقائق الثلاثين ادباء دار الكتب وشعراءها واخصهم الشاعران المرحومان احمد الزين ومحمد محفوظ وهما يقضيان هذه الدقائق فى تقارض الشعر .. لكن عصام الدين حفنى ناصف نجل امام اللغة حفنى ناصف وكان من موظفى دار الكتب كان يقاطعهما بالحديث عن الثورة التى ينبغى ان تجتاح الأدب . كان عصام احد الشبان الثائرين الذين نقلوا ثورة الفكر التقدمى الجديد من عهد دراسته فى المانيا ، وكان دائم النقد لاولئك الشعراء التقليديين .

وفى هذا المقهى كان يلتقى عصام خلال هذه الدقائق الثلاثين بثوار اخرين من ثوار الفكر وليسوا من موظفى دار الكتب لتبادل الافكار الحديثة .. وكان من بين اولئك الشبان الثائرين عبد الفتاح عنايت احد الذين اتهموا بمقتل السير لى ستاك فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ .

على أن هذا المقهى كان فيه ركن آخر لفئة اخــرى هى فئــة مندوبى الصحف اليومية المختصين فى انباء القضــايا حيث كانوا يستقون اخبار القضايا الكبرى من محكمة مصر المجاورة لمبنى دار الكتب القديم بباب الخلق .. وفى هذا الركن كــان

يتبادل اولئك المندوبون ما لديهم من الاخبار فى صـــورة من اروع صور التعاون بين الزملاء ٠

ولقد بلغ من هذا التعاون بين أولئك الزملاء ان أحــدهم قد مرض شهورا عجز فيها عن متابعة مصادر اخباره فى محكمـة مصر ، لكن الجريدة التى كان يعمل بها كانت تتلقى هذه الاخبار يوميا فى مواعيدها المقررة عن طريق زملائه ٠٠ زمـــلاء ركن الصحفيين فى مقهى باب الخلق ٠

هل صدق رفيق الصبا الذى قص علينا هذه القصص فى ان لكثير من مقاهى القاهرة صلة ببعض جوانب التاريخ ؟

ان مذكراته ، على أية حال ، كانت شيئا صالحا لان أكمل ، بها حلقات هذه السلســله من (من مــذكرات منســية) التى حسب بعض أصدقائى القراء انها مذكراتى والحقيقة اننى لم اكن فيها الا راوية ٠



الكتاب القادم

المشخصاتية

مسرحية

عبد الله الطوخى

الاعداد التى صدرت

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	النظارة السوداء	احسان عبد القدوس
٢	خان الخليلى	نجيب محفوظ
٣	وراء الستار	يوسف السباعى
٤	واسلاماه	على احمد باكثير
٥	يوم الثلاثاء	امين يوسف غراب
٦	سر الشاطىء	بنت الشاطىء
٧	بعد الغروب	محمد عبد الحليم عبد الله
٨	شجرة الحكم	توفيق الحكيم
٩	جاء الخريف	عبد الحميد جودة السحار
١٠	ارض الله	صلاح ذهنى
١١	ازهار واشواك	محمد فريد ابو حديد
١٢	شفاه غليظة	محمود تيمور
١٣	شجرة البؤس	طه حسين
١٤	هياكل فى الريف	سعيد عبده
١٥	ابراهيم الكاتب	ابراهيم عبد القادر المازنى
١٦	آثار على الشفاه	امين يوسف غراب
١٧	الثائر الأحمر	على احمد باكثير

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٨	فضيحة فى القاهرة	نجيب محفوظ
١٩	شجرة اللبلاب	محمد عبد الحليم عبد الله
٢٠	ليلة خمر	يوسف السباعى
٢١	انا حره	احسان عبد القدوس
٢٢	قلعة الابطال	عبد الحميد جودة السحار
٢٣	الذئاب الجائعة	محمود البدوى
٢٤	الأرض (١)	عبد الرحمن الشرقاوى
٢٥	الأرض (٢)	عبد الرحمن الشرقاوى
٢٦	دقت الساعة	توفيق الحكيم
٢٧	ارخص ليالى	يوسف ادريس
٢٨	ايام جميلة	صلاح ذهني
٢٩	اين عمرى	احسان عبد القدوس
٣٠	زقاق المدق	نجيب محفوظ
٣٢	العشاق الخمسة	يوسف الشارونى
٣١	كؤوس الشقاء	عبد المنعم السباعى
٣٣	يا آمة ضحكت	يوسف السباعى
٣٤	امرأة العزيز	امين يوسف غراب
٣٥	فى قهوة المجاذيب	سعد مكاوى
٣٦	الستار المرفوع	وداد سكاكينى

اسم المؤلف	اسم الكتاب	رقم العدد
اسماعيل الحبروك	هاربة من الليل	٣٧
طه حسين	من هناك	٣٨
يحيى حقى	ام العواجز	٣٩
د . محمد ابو طايله	سر المرأة المجهولة	٤٠
احسان عبد القدوس	الوسادة الخالية	٤١
مصطفى محمود	أكل عيش	٤٢
عبد الحميد جودة السحار	امرأة والحان	٤٣
يوسف ادريس	جمهورية فرحات	٤٤
يوسف السباعى	الوسواس الخناس	٤٥
نجيب محفوظ	بداية ونهاية	٤٦
احسان عبد القدوس	الطريق المسدود	٤٧
توفيق الحكيم	الرباط المقدس	٤٨
جاذبية صدقى	ستار ياالليل	٤٩
« عدة مؤلفين »	تحية الى راحل	٥٠
محمود السعدنى	جنة رضوان	٥١
زكريا الحجاوى	نهر البنفسج	٥٢
يوسف السباعى	السقا مات	٥٣
احسان عبد القدوس	النظارة السوداء (طبعة ثانية)	٥٤
جاذبية صدقى	وبكى قلبى	٥٥

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٦	أنا حـــرة	احسان عبد القدوس
٥٧	تجربة حب	فتحى غانم
٥٨	فى بيتنا رجل	احسان عبد القدوس
٥٩	الجبل	فتحى غانم
٦٠	محمد	توفيق الحكيم
٦١	ذكريات	السيدة / فاطمة اليوسف
٦٢	قطعة السكر	مصطفى محمود
٦٣	شيء حرام	جاذبية صدقى
٦٤	الزلة الاولى	محمود البدوى
٦٥	مدرسة البنات	صوفى عبد الله
٦٦	الانسان والقدر	ابراهيم المصرى
٦٧	من أين ؟	فتحى غانم
٦٨	لا أنام	احسان عبد القدوس
٦٩	مجمع الشياطين	سعد مكاوى
٧٠	أميرة قرطبة	عبد الحميد جودة السحار
٧١	منتهى الحب	احسان عبد القدوس
٧٢	المحترق	نظمى لوقا
٧٣	قصور على الرمال	صوفى عبد الله
٧٤	غرفة على السطح	محمود البدوى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٧٥	ليلة بيضاء	جاذبية صدقى
٧٦	حسن ونعيمة	عبد الرحمن الخميسى
٧٧	الايام الخضراء	ثروت اباظة
٧٨	رسالة الى امرأة	يوسف الشارونى
٧٩	الساخن والبارد	فتحى غانم
٨٠	بنت مدارس	محمود السعدنى
٨١	الست علية	عباس خضر
٨٢	بقايا عذراء	اسماعيل الحبروك
٨٣	آخر الدنيا	يوسف ادريس
٨٤	صراع الروح والجسد	ابراهيم المصرى
٨٥	الخيط الرفيع	احسان عبد القدوس
٨٦	العربة الاخيرة	محمود البدوى
٨٧	الكل باطل	أمين يوسف غراب
٨٨	الليل طويل	جاذبية صدقى
٨٩	ست البنات	أمين يوسف غراب
٩٠	حبيبى اسمه الحب	موسى صبرى
٩١	البهلوان المدهش	عبد الرحمن الخميسى
٩٢	اعترافات امرأة مسترجلة	سعاد زهير
٩٣	منزل الطالبات	فوزية مهران

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٩٤	مذكرات الملك طلال	ممدوح رضا
٩٥	بيت الطاعة	نجيبة العسال
٩٦	نصف امرأة	صوفى عبد الله
٩٧	النهــــر	عبد الله الطوخى
٩٨	نساء الاخرين	أمين يوسف غراب
٩٩	حادث النصف متر	صبرى موسى
١٠٠	العيب	يوسف ادريس
١٠١	حنان قليل	نوال السعداوى
١٠٢	ليلة فى الطريق	محمود البدوى
١٠٣	الجـــــزاء	جدال ربيع
١٠٤	الف ليلة وليلة	عبد الرحمن الخميسى
١٠٥	عالم الغرائز والاحلام	ابراهيم المصرى
١٠٦	زقاق السيد البلطى	صالح مرسى
١٠٧	المطلقة	فتحى غانم
١٠٨	شباب امرأة	أمين يوسف غراب
١٠٩	صور حية	جاذبية صدقى
١١٠	عذراء ووحش	محمود البدوى
١١١	عقلى وقلبى	احسان عبد القدوس
١١٢	سوق العبيد	صبحى الجيار

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١١٣	جريمة الموسم	محمد التابعى
١١٤	ممنوع الهمس	كامل زهيرى
١١٥	حكايات صبرى موسى	صبرى موسى
١١٦	على جسر الترعة	دكتور سعيد عبدة
١١٧	اشياء لا تشترى	أمين يوسف غراب
١١٨	عندما نحب	محمد التابعى
١١٩	الضاحك الاخير	عباس الاسوانى
١٢٠	حتى يعود القمر	محمود السعدنى
١٢١	فى الصحراء	صبرى موسى
١٢٢	فى بلاد الدماء الحارة	جاذبية صدقى
١٢٣	ألوان من القصص	محمد التابعى
١٢٤	امرأة غير مفهومة	أمين يوسف غراب
١٢٥	انتظرينى غدا	حسين القبانى
١٢٦	لقاء معهم	كامل الشناوى
١٢٧	القاهرة	علاء الديب
١٢٨	طور الحب	عبد الله الطوخى
١٢٩	سور حديد مدبب	فتحى غانم
١٣٠	بعض من عرفت	محمد التابعى
١٣١	لحظة صدق	نوال السعداوى

اسم المؤلف	اسم الكتاب	رقم العدد
محمود السعدنى	الافريكى	١٣٣
جليل البندارى	انا والنجوم	١٣٤
أحمد رجب	جدا جدا جدا	١٣٥
عبد الفتاح رزق	على الربابة يازمن	١٣٢
محمد التابعى	أســـمهان	١٣٦
ابراهيم عبد الحليم	أزمة كاتب	١٣٧
صبرى موسى	فى البحيرات	١٣٨
يوسف ادريس	لغة الآى آى	١٣٩
لويس عوض	مذكرات طالب بعثة	١٤٠
يحيى حقى	دمعة فابتسامة	١٤١
صلاح جاهين	قصاقيص ورق	١٤٢
فتحى غانم	الغبى	١٤٣
أحمد حدروش	المسرح من الكواليس	١٤٤
صالح مرسى	الكـــذاب	١٤٥
لطفى الخولى	ياقوت مطحون	١٤٦
فتحى غانم	الفن فى حياتنا	١٤٧
صبرى موسى	وجوها لظهر	١٤٨
لويس جريس	الوزير والحب	١٤٩
سعد الدين وهبه	نادى النفوس العارية	١٥٠

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٥١	مسرحية الزلزال	مصطفى محمود
١٥٢	تلك الأيام	فتحى غانم
١٥٣	عسكر وحرامية	الفريد فرج
١٥٤	المحاورات الجديدة	لويس عوض
١٥٥	قتل مع سبق الاصرار	الهام سيف النصر
١٥٦	المرأة التى تكلم نفسها كثيرا	عبد الله الطوخى
١٥٧	خطاب الى رجل ميت	صالح مرسى
١٥٨	أصل السبب	فهمى حسين
١٥٩	الولد الذى جعلنا لاندفع نقودا	صلاح حافظ
١٦٠	حب ومال	لويس جريس
١٦١	مذكرات الولد الشقى جزء (٢)	محمود السعدنى
١٦٢	دبيب النمل	جاذبية صدقى
١٦٣	المرأة والحب	لويس جريس
١٦٤	شجرة الاحلام	لويس جريس
١٦٥	اعترافات عشاق (جزء اول)	مصطفى محمود
١٦٦	الثمن (مسرحية)	لويس جريس
١٦٧	اعترافات عشاق (جزء ثان)	مصطفى محمود
١٦٨	بلاد تشيل وبلاد تحط	محمود السعدنى
١٦٩	صباح الجمعة	علاء الديب

اسم المؤلف	اسم الكتاب	رقم العدد
مصطفى محمود	القـــــرآن	١٧٠
محمود السعدنى	الموكوس فى بلاد الفلوس	١٧١
صبرى موسى	مشروع قتل جاره	١٧٢
مصطفى محمود	المجموعة الكاملة	١٧٣
	أغلى الذكريات	١٧٤
صلاح عبد الصبور	عمر من الحب	١٧٥
محمد عوده	سبع باشوات وقصص اخرى	١٧٦
على سالم	الملوك يدخلون القرية	١٧٧
محمود السعدنى	المضحكون	١٧٨
صلاح حافظ	التاريخ الجنسى للانسان	١٧٩
لويس عوض	الثورة والادب	١٨٠
زينب صادق	حكايات عن الحب	١٨١
عايدة العزب موسى	٩٠ سنة على الثورة العرابية	١٨٢
صلاح عبد الصبور	فى مدينة العشق والحكمة	١٨٣
أحمد عبد المعطى حجازى	محمد وهؤلاء	١٨٤
فتحى خليل	صاحب الجلالة الجناينى	١٨٥
كامل الشناوى	الحياة • الحب • الموت	١٨٦
يوسف صبرى وفهمى حسين	قصة رجال ومدينة	١٨٧
عباس الاسوانى	اسوار عالية (رواية)	١٨٨

عزيزى القارى ..

فى الكتابين السابقين سقطت سهوا من هذه القائمة الأعداد رقم ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، وباعادتها يصبح عدد ما صدر من الكتاب الذهبى (١٨٩) عددا بهذا الكتاب الذى بين ايديكم •

والاعداد من واحد الى (١٦٩) نفدت وسوف يعلن الكتاب قريبا عما يعاد طبعه منها •

أما باقى الاعداد فتوجد منها كميات محـــدودة ، تطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة روز اليوسف •

مؤسسة روز اليوسف
الكتاب الذهبي

رئيس مجلس الادارة
عبد الرحمن الشرقاوي

رئيسا التحرير
مصطفى محمود
كمال كامل

لجنة الكتاب
جمال كامل
لويس جريس

الاعلانات والاشتراكات
يتفق عليها مع الادارة

٨٩ (أ) شارع القصر العينى
تليفون ٢٠٨٨٨ – ٢٠٨٨٧
تلغرافيا روز اليوسف . ج.م.ع

الفهرس

الصفحة	المحتوى
9	المقدمة
12	المذكرات عند العرب
15	مذكرات ضابط
23	مذكرات مجندة
29	مذكرات مدرسة
35	مذكرات طالب
41	مذكرات وزير سابق
7	مذكرات ثلاثة سياسيين
53	مذكرات فدائي
59	عاملة تليفون
65	مذكرات كمساري
71	مذكرات شرطي
77	مذكرات جرسون
81	مذكرات شاعر
85	مذكرات فنانة
91	مذكرات مقامرة
97	مذكرات عيد
103	مذكرات لغوي
113	عرض حالجي
119	مذكرات مفتش مقاهي
136	الأعداد التي صدرت من الكتاب الذهبي
147	المحتويات

تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .

م. سرمد حاتم شكر السامرائي

الثمن ١٠ قروش

مؤسسة روز اليوسف